مجالسُ الحديث النَّبويّ الشَّريف

الجزء الرابع

للإمام الشيخ عبد الله سِراج الدِّين الحُسيني

جمع وتقديم
ولدِهِ

المهندس الشيخ محمد مُحيي الدِّين سِرَاج الدّين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

مجالسُ الحديث النَّبويّ الشَّريف

الجزء الرابع

للإمام الشيخ عبدِ الله سِرَاج الدِّين الحُسيني

جمع وتقديم

ولدِهِ

المهندس الشيخ محمد مُحيي الدِّين سِرَاج الدِّين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

اعتنى بها وخرَّج أحاديثها

خادم العلم الشريف

الدكتور بكري بريمو السمان

في هذه المجالس

بيانات بعض أحاديث سيدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم
التي ذكرها الإمام البخاري
رضي الله عنه
في (الجامع الصحيح)
وهي مجالس الشيخ الإمام
في جامع (الحموي)
يوم الأربعاء
بعد شروق الشمس بقليل

أيها القارئ الكريم

هَبْ ثواب قراءتك سورة الفاتحة

إلى العلّامة الكبير والعارف الشهير

الإمام المفسِّر المُحَدِّث الشيخ

عبدِ الله سِراج الدِّين الحُسيني

وإلى ولده العالِم العامل

المهندس الشيخ

محمد مُحيي الدين سِراج الدِّين

رضي الله عنهما، وجزاك الله خيراً.

الموقع الرسمي والوحيد للشيخ الإمام

www.srajalden.com

المحاضرة الأولى بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم.

أما بعد:

بالسند المتصل إلى الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي البخاري رضي الله عنه قال :

باب من لم يواجه الناس بالعتاب[1].

ثم ذكر بسنده إلى السيدة عائشة رضي الله عنها قالت:

[صَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ ، فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ:

مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَن الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ !!

فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً].

وذكر بسنده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

[كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِن الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ صلى الله عليه وسلم][2]. اهـ

فلقد كان صلى الله عليه وسلم إذا رأى من أحد شيئاً يكرهه لا يقابله بالعتاب ، وإنما يعرض له فيقول : [ما بال أقوام يفعلون كذا ، ما بال أقوام يقولون كذا وكذا] وهكذا ، وفي هذا تنبيه لمن صدر منه ما يوجب العتاب، وتنبيه لغيره ألا يقع فيما وقع فيه غيره .

---

١ صحيح البخاري كتاب الأدب

٢ المصدر السابق

وقول عائشة رضي الله عنها : [صَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ] - أي : كان صلى الله عليه وسلم ينام النصف الأول من الليل ويقوم النصف الآخر وأحياناً يقوم الليل كله وأحياناً ثلثيه ، كما قال الله تعالى : {يا أيها المزمل *قم الليل إلا قليلًا * نصفه أو انقص منه قليلًا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلًا }.

كما أنه صلى الله عليه وسلم تزوج النساء وعاشر زوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين بأحسن معاشرة كما قال صلى الله عليه وسلم :

[خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي] [1].

وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يصوم أياماً متتاليات ، وأحياناً يصوم يوماً ويفطر يوماً - يعني من حيث النوافل - فبلغ ذلك جماعة من الصحابة كانوا على حداثة عهد في التعبد ، فتنزه بعضهم ، وقال بعضهم: أنا لا أنام الليل أبداً ، وقال الآخر : أنا أعتزل النساء ولا أتزوج ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : [جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي] [2].

---

[1] سنن الترمذي كتاب المناقب

[2] صحيح البخاري كتاب النكاح

ويدل هذا الحديث على أن الإنسان مهما أراد أن يرتقي في عبادة الله تعالى فليس له إلا اتباع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جاء بأحسن هدي وأفضل طريق للسير في عبادة الله تعالى .

وأما من ابتدع طريقة في عبادة الله تعالى ولم يتبع ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزعم أن ذلك طريق موصل إلى الله تعالى فقد أخطأ وضلّ ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :

[فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي] .

فلا رأي فوق رأيه صلى الله عليه وسلم ، ولا هدي فوق هديه صلى الله عليه وسلم ، بل إن الإنسان لا يكون على هدى إلا إذا اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال سبحانه: { واتبعوه لعلكم تهتدون } .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : [أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ] أي وإن كان صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ويرقد ، ويصوم ويفطر ويتزوج النساء ، فإن عبادته صلى الله عليه وسلم وأعماله هي أعلى مراتب التقوى وأكملها ، وإن سيرته وسلوكه صلى الله عليه وسلم في عبادة الله تعالى هي سيرة أتقى العالمين لرب العالمين وأعلم العالمين بالله تعالى ، فلا أحد من الخلق يستطيع أن يجاري رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبادته مهما رقى وارتقى في مقامات العبادة والقرب لأن مقاماته صلى الله عليه وسلم خاصة انفرد بهما دون خلق الله كلهم.

إذ كيف يتصور لشمعة أضاءت وقت الظهيرة أن تتباهى وتتفاخر بنورها أمام نور الشمس الباهر؟!

وإذا كانت شمس السماء الفلكية التي قال الله تعالى فيها: {وجعلنا سراجاً وهاجاً} إذا كانت تنير المحسوسات وتتوقف عليها حياة أهل الأرض الجسمانية فإن شمس النبوة المحمدية صلى الله عليه وسلم تنير الأشباح والأرواح والعقول والأفكار ، ولذلك قال تعالى: {يا أيها النبيّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً} .

وإذا كان الإنسان يستغني أحياناً عن الشمس الفلكية ، وقد يتضرر من حرها ووهجها إلا أنه لا غنى له عن شمس النبوة المحمدية ولا للحظة ، كما أنه لا يتأتى منها إلا النور ولا غنى للإنسان عن النور في جميع أحيانه .

قال سبحانه: {قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين} ومن شأن النور أن يكشف لك عن حقائق الأمور ، ويظهر لك وقائعها ، وإن نور البصر الذي أودعه الله تعالى في عين الإنسان يريه المحسوسات ، وقد يلتبس عليه بعضها ، فلا بد له من نور آخر ليصحح أخطاء البصر وهو نور العقل ، فبنور العقل يعرف الإنسان أن دولاب المروحة يدور بسرعة ، وإن كان بصره يراه ساكناً ، وبنور العقل يعرف الإنسان أن الطائرة التي تطير في السماء في أعالي الجو كبيرة الحجم ، وإن كان البصر يراها قدر الشبر مثلاً، وهكذا يأتي نور العقل ويصحح أخطاء البصر.

وكذلك فإن العقل يقصر ويعجز عن إدراك المغيبات ، وفهم أسرار الشريعة وقضايا الإيمان ، فيأتي نور الإيمان الذي جاء به خير الأنام صلى الله عليه وسلم وينور العقل ويهديه إلى أمور قصر عن إدراكها وفهمها .

ومن هنا تعلم أن قضايا الإيمان وجميع ما أخبر عنه القرآن وجاء عن سيد الأنام صلى الله عليه وسلم كلها قضايا معقولة مقبولة عند أهل العقول الكاملة المتحررة من رق الأهواء والآراء ، وهذا ما بينه سبحانه في كثير من الآيات بقوله جل وعلا : {لعلكم تعقلون } { إن كنتم تعقلون} { لعلكم تذكرون } { لآيات لأولي الألباب}، فخاطب سبحانه أهل العقول أن يتعقلوا فيما أنزله عليهم وما جاءهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيان للقرآن الكريم وأحكام الشريعة، خاطبهم أن يتعقلوا فيها ليفهموا الحكم فيها، ومن زعم أن بعض إخبارات القرآن تتناقض مع العقل فقد كذّب خبر القرآن وافترى الكذب على الله تعالى ، لأن الله تعالى يقول: {لعلكم تعقلون} أي : من أجل أن تتعقلوا و تتدبروا خبر القرآن الكريم ، لأن إخبارات القرآن معقولة مقبولة عند من تعقل وأنصف .

ولذلك يجب على كل إنسان أن لا يُعمل فكره ورأيه ليعارض ما جاء به القرآن ، بل عليه أن يتعقل ويتدبر في خبر القرآن ، ويجعل عقله ورأيه تابعاً لما جاء عن الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم:

[لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به]
وفي رواية: [ثم لا يزيغ عنه] [1]والزيغ هو الميل .
وإذا كانت حياة أجسام أهل الأرض متوقفة على شمس السماء الفلكية فإن حياة أرواحهم متوقفة على شمس النبوة المحمدية صلى الله عليه وسلم ، فهو صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالروح القرآني من عند الله تعالى ، لينشرها في العالمين وتحيا بها أرواحهم حياة الأبد ، قال الله تعالى: { وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا} ، وقال جل وعز : {يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم } أي : لما يحييكم به، فمن أراد الحياة الحقيقية الطيبة السعيدة في الدنيا والآخرة فلا يجدها إلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك باستجابة دعوته والعمل بما جاء به صلى الله عليه وسلم، ومن أراد أن يستنير عقله وفكره وروحه وقلبه بل وجسمه ووجهه ، فلا يجد ذلك النور إلا عند سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله تعالى للعالمين سراجاً منيراً، فعلى الإنسان أن يهتدي بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يعمل بإرشاداته ليحيا سعيداً في الدنيا والآخرة.

ونسأل الله التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً والحمد لله رب العالمين.

---

[1] قال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم: خرّج هذا الحديث الحافظ أبو نعيم في كتاب الأربعين ، وشرط في أولها أن تكون من صحاح الأخبار وجياد الآثار مما أجمع الناقلون على عدالة ناقليه ، وخرّجته الأئمة في مسانيدهم ، وخرّجه عن الطبراني بزيادة : [لا يزيغ عنه] ، ورواه الحافظ أبو بكر بن عاصم الأصبهاني وليس عنده : [لا يزيغ عنه] .

المحاضرة الثانية : **بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة و أكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

أما بعد :

بالسند المتصل إلى الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري رضي الله عنه قال :

باب علامة الحب في الله تعالى ، وقوله تعالى : { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} .

ثم أورد بسنده إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ] .

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
[جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ].

وعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنه قَالَ :
[قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ ، قَالَ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ][1].اهـ

---

١ صحيح البخاري كتاب الأدب

لقد أورد الإمام البخاري رضي الله عنه في هذا الباب الأحاديث المتقدمة ، وإما أن يكون أراد من ترجمته لهذه الأحاديث علامة المحبة لله تعالى أو أنه أراد المحبة في الله - أي : محبتك المؤمنين في الله تعالى - أو ما يجمع الأمرين معاً .

وإن العلامة الجامعة لصدق محبة المؤمن لله تعالى هي ما أشارت إليه الآية: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} فهذه الآية تبين العلامة الصادقة لمحبة الله تعالى، وللمحبة في الله تعالى ، وهذه العلامة هي اتباع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد افتتحت الآية بقوله تعالى: {قل} ، ومثل هذا يكون في معرض الجواب عن سؤال سئل عنه صلى الله عليه وسلم أو أنه رد وبيان من الله تعالى لمن ادعى شيئاً.

وقد زعم قوم من كفار قريش أنهم يحبون الله تعالى وراحوا يعبدونه دون أن يتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل قوله تعالى : {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله}.

وقد قال الحسن البصري رضي الله عنه : قال قوم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد، إنا نحب ربنا ! فأنزل الله عز وجل:{ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم}، فجعل اتّباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علماً لحبه، وعذاب من خالفه[1].

وقال بعض العلماء : سبب نزول الآية أن اليهود والنصارى زعموا أنهم أحباب الله تعالى كما أخبر سبحانه عنهم: {وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه} أي : نحن أبناؤه في المحبة ، كما أن الولد يحب أباه وهو محبوب عند أبيه ، وما أرادوا أنهم أبناء الله نسباً، فنزل قوله تعالى رداً عليهم : {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} وبين أن دليل المحبة هو اتباع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] .

---

[1] انظر تفسير الطبري للآية الكريمة

[2] انظر تفسير البيضاوي ١ / ٣٣٧

والحق أن هذه الآية جاءت رداً على كل من زعم وادعى محبة الله تعالى من مشركي العرب وغيرهم من أهل الكتاب دون أن يتبع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدليل صدق الله تعالى هو اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن تحقق بذلك نال محبة الله تعالى كما قال جل وعلا : { يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم } فمن دخل في مقام المحبة لله تعالى والمحبوبية نال مغفرة الله تعالى، لأن المحب ذنبه مغفور وعمله مشكور وسعيه مبرور.

ومن ادعى محبة الله تعالى ولم يجد في نفسه متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال له: أنت لست من المحبين، بل أنت ممن يشتهي الحب، وهناك فرق كبير بينهما ، و إليك مثالًا يوضح لك الأمر - من باب ضرب المثل ولله المثل الأعلى - : رجل يحب الأكلة الفلانية فإذا كان حبه لها حقيقياً صادقاً فتراه لا يهدأ له بال ولا تسكن له نفس حتى يسعى في تحصيلها حتى يأكلها ، وأما المشتهي للأكلة الفلانية فيقول : يا ليت لي من يقدِّم لي الأكلة الفلانية، وتراه يتمنى ويشتهي وهو قاعد لا يتحرك في تحصيلها ، فالمحب الصادق يسعى للوصول إلى محبوبه ، ولا يكون التقرب إلى المحبوب الأعظم إلا باتباع أحب محبوب إلى الله تعالى ومن ادعى أنه يحبك وأنك عليه كريم وغالي ، وأنك وأنك .. لكنه لا يسعى في رؤيتك ولقائك أو الاجتماع بك ، فهو إما كاذب في دعواه أو أنه يشتهي محبتك ولكن لم يحصل عليها بعد.

وإن زعم أن أمور دنياه وتجاراته وأمواله تشغله عن رؤيتك والاجتماع بك فقل له : إذاً أنت تحب أموالك أكثر مني ، وكذا من ادعى أنه يحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أمور الدنيا وأموالها وتجاراتها تشغله عن ذِكر الله وعن الصلاة وعن أداء حق الله تعالى في أمواله فهو كاذب في محبته لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، لأن أمواله أحب إليه من الله ورسوله والدار الآخرة ، ولذلك شغلته عن القيام بحق الله عليه واتباع ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد توعد الله مَن هذا شأنه بقوله عز من قائل:

{قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين} أي :فمن كان هذا وضعه فهو فاسق ولينتظر أمر الله به بالعذاب.

وكيف لا يحب الإنسان ربه وهو سبحانه قد خلقه وربّاه وأعطاه وأنعم عليه وهداه لما فيه سعادة دنياه وآخرته ، ثم يثيبه ويكرمه ويدخله دار ضيافته ؟!

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي :

[أحبوا الله لما يغذوكم من نِعَمه] - أي : لما يمدكم به من نعم لا تحصى- [وأحبوني بحب الله] - لأن الله يحبني- [وأحبوا أهل بيتي بحبي][1] .

وقد نال صلى الله عليه وسلم مقام حبيب الله الأعظم مع أن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أحباب الله تعالى ، إلا أن مقامه صلى الله عليه وسلم في محبة الله تعالى ومحبة الله له مقام فرداني لم يشاركه فيه أحد من الأنبياء والرسل ، ولذلك قال ﷺ : [ألا وأنا حبيب الله ولا فخر] [2].

ولذلك لا يتقدم إلى مقام الشفاعة العظمى في وقت اشتد فيه غضب الله تعالى ، لا يتقدم للشفاعة ويكشف التجلي بالغضب على أهل الموقف ، إلا حبيب الله الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، في حين اعتذر جميع الأنبياء عن التقدم للشفاعة لما طلب أهل الموقف منهم ذلك ، وتقدم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً:[أنا لها أنا لها][3].

---

[1] سنن الترمذي كتاب المناقب والمعجم الكبير للطبراني ومستدرك الحاكم

[2] طرف حديث في سنن الترمذي كتاب المناقب وسنن الدارمي في المقدمة

[3] قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٨ / ٤١٠ :
وَوَقَعَ فِي رِوَايَة مَعْبَد بْن هِلَال: [فَيَأْتُونِي فَأَقُول : أَنَا لَهَا أَنَا لَهَا]

ومِن روايات الحديث المتقدم : قول الرجل لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

[يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِم؟][1]

[الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ] [2]

[يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمَرْءُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَعْمَلْ بِعَمَلِهِمْ][3]

فقال صلى الله عليه وسلم : [المرء مع من أحب] .

وقد ذكر البخاري رضي الله عنه هذا الحديث وترجم له : (علامة حب الله عز وجل) وذلك ليبين أن المرء المحب لا يلزم لصدق محبته أن يكون متبعاً اتباعاً كلياً لما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن صدر عنه ذنب أو تقصير لعذر فلا ينفي عنه أصل المحبة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه لم يتحقق بكمال المحبة ، والمحبة على مراتب، وأي الناس يستطيع أن يعمل عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات و الطاعات ؟!

وفي الحديث الذي رواه البزار وغيره عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَجَلَدَهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لا تَلْعَنْهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ "[4].

فأثبت له صلى الله عليه وسلم محبة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم مع تكرار صدور الذنب منه ، فهو يتوب في كل مرة لكن نفسه تغلبه فيقع في المعصية مرة أخرى فيتوب ويستغفر في كل مرة ويرجع إلى ربه راجياً مغفرته .

---

[1] طرف حديث في صحيح البخاري كتاب الأدب
[2] طرف حديث في صحيح البخاري كتاب الأدب
[3] انظر سنن الدارقطني والمعجم الكبير للطبراني
[4] رواه البزار في مسنده بهذا اللفظ وانظره في مصنف عبد الرزاق وتاريخ دمشق لابن عساكر

فالمحبة تستلزم من المحب أن يعمل ما يستطيع من العمل متابعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولهذا نظر الصحابة رضي الله عنهم في أعمالهم فرأوها دون أعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنهم لا يستطيعون أن يعملوا عمله مهما بذلوا جهدهم ، لكنهم يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فخافوا أن يكونوا كاذبين في محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجرى منهم هذا السؤال[1] في الحديث المتقدم : [الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ] أي: في العمل فقال صلى الله عليه وسلم: [المرء مع من أحب] فبشَّرهم صلى الله عليه وسلم بالمعية له صلى الله عليه وسلم، وأن محبتهم صادقة وإن تقاصرت أعمالهم عن عمل المحبوب صلى الله عليه وسلم .

وأما من تكاسل عن العمل في اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ميلاً لِهوى نفسه وشهواتها، ويدعي أنه محب لله تعالى ولرسوله ﷺ ، فهذا المتكاسل كاذب في دعواه ، لأن المحب يسعى جاهداً في اتباع محبوبه ، وتشفع له محبته في تقصيره و يلحقه الله بمحبوبه فضلاً منه وكرماً.

ويرحم الله القائل :

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وفي رواية عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال :

[قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ كَعَمَلِهِمْ؟

- أي فكيف هو منهم ؟ -

قَالَ ﷺ: أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ، قُلْتُ: فَإِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قَالَ ﷺ: فَأَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ][2].

---

[1] وقد جاء نحو هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم : منهم أنس وأبو ذر وأبو موسى الأشعري والأعرابي الذي جاء على ناقته وغيرهم.

[2] المسند ٢٠٤٩٠

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم للسائل :
[فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكَ مَا احْتَسَبْتَ][1]أي : ولك أجر ما احتسبته في محبتك الصادقة .

ويدل هذا الحديث على أن المحبة عمل كبير من أعمال القلوب له شأنه واعتباره عند الله تعالى .

والاحتساب أن يحسِب المؤمن العمل الذي يعمله عبادة يبتغي الأجر فيه من الله تعالى ، لا أنه يعمل العمل ويحسبه عادة.

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : [مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا] أي: إيماناً بالله تعالى محتسباً أجر صيامه عند الله تعالى ، لا أن صومه كالعادة [غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ] [2]

وهكذا قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري :

[مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ].[3]

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد ومسلم :

[إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَة][4]

أي : احتسب في إطعامه لأهله و عياله الأجر عند الله تعالى ولم يطعم أهله وعياله معتبراً ذلك من عاداته وإلا فلا ثواب ولا أجر له .

---

[1] طرف حديث في المسند ١٢٨٨٣ ونص الحديث : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: [كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ فَسَأَلَهُ رَجُلٌ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهَا قَائِمَةٌ فَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَعْدَدْتُ مِنْ كَثِيرِ عَمَلٍ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قَالَ ﷺ : فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكَ مَا احْتَسَبْتَ] .

[2] انظر صحيح البخاري كتاب الإيمان وصحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها

[3] انظر صحيح البخاري كتاب الصوم

[4] رغم أنها نفقة واجبة عليه ، والحديث في المسند ١٦٤٦٣ وصحيح مسلم كتاب الزكاة

فبالنّية والاحتساب تنقلب عادات المؤمن إلى عبادات إن هو نوى من عمله الدنيوي ما يرضي الله سبحانه واحتسب الأجر عند الله تعالى ، وبفقدان النية والاحتساب قد تنقلب عبادات الإنسان إلى عادات فليحذر ذلك وليراقب الله تعالى في جميع أعماله .

وإن من أهم وأعظم أعمال القلوب محبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه بالقلب أولاً، ويأتي اللسان معبراً عما في القلب من حب وتعظيم لجنابه العظيم صلى الله عليه وسلم ، وقد قال سبحانه: {ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب } ليبين أن التعظيم يكون بالقلب أولاً، وتعبّر عنه الجوارح واللسان .

وإن أعظم شعائر الله ومعالم دينه بل إن مجمع شعائر الله الدالة على الله هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله، ولذلك كانت محبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه و الأدب معه أموراً واجبة على كل مؤمن حتى يصح ويكمل إيمانه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام البخاري : [لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين] [1].

وفي مسند الإمام أحمد :[والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه] [2] .

وإن قضايا الإيمان قضايا معقولة مقبولة لدى أصحاب العقول السليمة المتجردة عن الأهواء وهم أولو الألباب الذين دخلوا الباب ووصلوا إلى اللباب بحيث راحوا يتفهمون أسرار وحكم أحكام الله تعالى ومخلوقاته ، ولما كانت محبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أعظم قضايا الإيمان فلا يدرك سر ذلك إلا من تعقل وتدبر.

---

[1] صحيح البخاري كتاب الإيمان

[2] المسند ١٨١٩٣

فإن الإنسان يحب والده لأنه يحب الخير له فوق كل محبوب ، وبه فخره واعتزازه ! وكذا يحب أمه لأن فيها الرحمة والحنان عليه وتحب له الخير، وكذا ولده وأهله ، بل إن الإنسان يحب نفسه لأنها تريد الخير له ، فإذا وُجد من يحب الخير لك أكثر مما تحب لنفسك ، وأكثر مما يحبه لك والدك وولدك والناس أجمعين ، بل هو حريص عليك وعلى نفعك وهدايتك وسعادتك وأَولى بك من نفسك ، وهذا هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال الله فيه : {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} أي : أحق بأنفسهم من أنفسهم وأرحم بهم من أنفسهم وأعطف وأحن ، ألا يجب عندئذ على كل مؤمن عاقل أن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من محبته لنفسه؟!

نعم هذا أمر إيماني معقول مقبول لا يجحد به إلا معاند معارض ، فافهم.

وقد يرضى الإنسان لنفسه أن يذهب عقله بشرب الخمر مثلاً ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرضى له ذلك ، وقد يقدم على نحر نفسه ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرضى له ذلك ، لأنه أرحم به من نفسه ، وفي هذا يقول سبحانه : { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم }.

وروى الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
[مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: { النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ } فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ تَرَكَ مَالًا فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا ، فَإِنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ][1]. صلى الله عليه وسلم .
وإن المؤمنين في محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم على مراتب ، وأعظمهم محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو أشدهم قرباً منه وولاء له ونيلاً لشفاعته صلى الله عليه وسلم .

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : [المرء مع من أحب] والمحبة على مراتب فالمعية على مراتب .

---

[1] صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن

ولما ذاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حلاوة ونعيم ولذة مرافقته صلى الله عليه وسلم في الدنيا راحوا يطلبونها أن تدوم لهم في الآخرة أيضاً فجاء بيان الله تعالى لهم : { ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً } .

أي عليماً بمن يليق لهذا الفضل العظيم . ونسأل الله ذلك من فضله العظيم بجاه ذي الخُلُق العظيم صلى الله عليه وسلم .

ومن جهة أخرى : إذا كانت المحبة يرجع سببها إلى أمر دنيوي وهو الجمال والنوال ، والجمال محبوب لذاته لا يُعلل ، وجمال كل شيء على حسبه ، فقد اجتمعت مراتب الجمال و الكمال في سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل عنه تؤخذ ومنه تفيض، وكذا النوال والإحسان والعطاء، ولا أعظم مِن إحسان مَن جاء ينقذك من شقاء الأبد إلى سعادة الأبد صلى الله عليه وسلم.

ألا يجب عندئذ أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم محبوب عند كل إنسان عاقل ؟!

وقد قال صلى الله عليه وسلم: [إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا ، وَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهَا][1].

فما أعظم رأفته ورحمته صلى الله عليه وسلم؟!

اللهم صل على سيدنا محمد بقدر حبك فيه ، وفرِّج عنا ما نحن فيه.

ونسأل الله التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين .

---

[1] سنن الترمذي كتاب الأمثال واللفظ له، وهو في صحيح البخاري كتاب الرقاق وصحيح مسلم كتاب الفضائل بلفظ قريب

المحاضرة الثالثة **بسم الله الرَّحمن الرَّحيم**

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصَّلاة وأكمل التَّسليم على سيّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سبحانكَ لا عِلم لنا إلا ما علَّمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم.

أمَّا بعد:

بالسَّند المُتَّصل إلى الإمام الحافِظ أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيمَ بن المُغيرة بن بَردِزبه الجُعفي البُخاري رضي الله عنه قال :

بَاب التَّكْبِيرِ وَالتَّسْبيحِ عِنْدَ الْمنَامِ[1]

ثم أورد بسنده إلى عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ فَاطِمَةَ رضي الله عنها شَكَتْ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِن الرَّحَى فَأَتَت النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تَجِدْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ، قَالَ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ أَقُومُ فَقَالَ: مَكَانَك، فَجَلَسَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي ، فَقَالَ: أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ؟
إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا أَوْ أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، فَهَذَا خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ].
وفي رواية له[2]عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أيضاً أَنَّ فَاطِمَةَ رضي الله عنها اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِن الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِسَبْيٍ ، فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تُوَافِقْهُ ، فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ لَهُ فَأَتَانَا وَقَدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ فَقَالَ: عَلَى مَكَانِكُمَا، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي فَقَالَ : أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ ؟
إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ].

---

١ أي عِندَ النَّومِ، وهَذا البَاب فِي صحيح البخاري في كِتَابِ الدَّعَوَاتِ

٢ في صحيح البخاري في كِتابِ فَرْض الخُمُس

وفي رواية له[1] أيضاً عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ فَاطِمَةَ رضي الله عنها أَتَت النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِن الرَّحَى ، وَبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَقِيقٌ ، فَلَمْ تُصَادِفْهُ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ ، قَالَ : فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا نَقُومُ فَقَالَ: عَلَى مَكَانِكُمَا ، فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى بَطْنِي ، فَقَالَ :

[أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا؟

إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا أَوْ أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ].

وَفِي رِوَايةٍ لِلإمَام أحمد[2] عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا زَوَّجَهُ فَاطِمَةَ رضي الله عنها ، بَعَثَ معه بِخَمِيلَةٍ وَوِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ، حَشْوُهَا لِيفٌ ، وَرَحَيَيْنِ وَسِقاءٍ وجَرَّتَيْنِ .

فَقَالَ عَلِيٌّ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ذَاتَ يَوْمٍ : وَاللهِ لَقَدْ سَنَوْتُ حَتَّى لَقَد اشْتَكَيْتُ صَدْرِي ؛ قَالَ : وَقَدْ جَاءَ اللهُ أَبَاكِ بِسَبْيٍ،فَاذْهَبِي فَاسْتَخْدِمِيهِ .

فَقَالَتْ : وَأَنَا وَاللهِ ، قَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجَلَتْ يَدَايَ.

فأتَت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَا جَاءَ بِكِ أَيْ بُنَيَّةُ ؟

قَالَتْ : جِئْتُ لأُسَلِّمَ عَلَيْكَ ، وَاسْتَحْيَت أَنْ تَسْأَلَهُ وَرَجَعَتْ.

فَقَالَ : مَا فَعَلْتِ؟

قَالَتْ : اسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ، فَأَتَيْنَاهُ جَميعاً، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ لقَدْ سَنَوْتُ حَتَّى اشْتَكَيْتُ صَدْرِي؛ وَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: قَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجَلَتْ يَدَايَ، وَقَدْ جَاءَكَ اللهُ بِسَبْيٍ وَسَعَةٍ، فَأَخْدِمْنَا.

---

١ فِي كِتَابِ النفَقَاتِ

٢ كَمَا فِي المُسنَدِ ٧٩٧

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [وَاللهِ لا أُعْطِيكُمَا وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوى بُطُونُهُمْ، لا أَجدُ مَا أُنْفِقُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَبِيعُهُمْ وَأُنْفِقُ عَلَيْهِمْ أَثْمَانَهُمْ].

فَرَجَعَا، فَأَتَاهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ دَخَلا فِي قَطِيفَتِهِمَا ، إِذَا غَطَّتْ رؤوسَهُمَا تَكَشَّفَتْ أَقْدَامُهُمَا، وَإِذَا غَطَّيَا أَقْدَامَهُمَا تَكَشَّفَتْ رؤوسُهُمَا، فَثَارَا، فَقَالَ: [مَكَانَكُمَا].

ثُمَّ قَالَ: [أَلا أُخْبِرُكُمَا بِخَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَانِي ؟].

قَالا : بَلَى .

فَقَالَ : [كَلِمَاتٌ عَلَّمَنِيهِنَّ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام ، فَقَالَ: تُسَبِّحَانِ فِي دُبُر كُلِّ صَلاةٍ عَشْراً ، وتَحْمَدَانِ عَشْراً ، وتُكَبِّرَانِ عَشْراً ، وَإِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا فَسَبِّحَا ثَلاثاً وَثَلاثِينَ ، وَاحْمَدَا ثَلاثاً وَثَلاثِينَ ، وَكَبِّرَا أَرْبَعاً وَثَلاثِينَ].

قَالَ : فَوَاللهِ مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ].اهـ

لَقَد ذَكَرَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ هَذَا الحَديثَ فِي كِتَابِ الدَّعَوَات مُستَدِلاً بِهِ عَلَى أنَّ التَّسبيحَ وَالتَّحميدَ وَالتَّكبيرَ مِن جُملَة الأَذكَارِ المَطلُوبَةِ مِنَ المُؤمِنِ عِندَمَا يُريدُ النومَ.

وَتُعتَبَرُ هَذِهِ الأَذكَارُ وَالأدعِيَةُ مِنَ الآدَابِ النَّبويَّةِ التي أَرشَدَ إِلَيهَا سيّدُنَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَهَدَى الإِنسَانَ إِلى آدابٍ فِي نَومِهِ ، وآدَاب عِندَ أَكلِهِ وَشُربِهِ ، وَآدَابٍ فِي جَميعِ أُمُورِ مَعَاشِهِ وَحَرَكَاتِهِ وَتَقَلُّبَاتِهِ ؛ كُلُّ ذَلِك حَتَّى يَتَحَقَّق الإِنسَانُ بِالكَمَالِ الإِنسَانِيِّ الذي أَرَادَهُ الله تَعَالى لَهُ ، وَيَرتَقِي بِنَفسِهِ عَن مُستَوَى البَهِيمِيَّةِ وَالحَيَوانيَّةِ .

وَلمَّا يُريدُ الإِنسَانُ النومَ فَهُوَ سَيَدخُلُ فِي عَالَمٍ آخَرَ لَهُ شَأنُهُ وَاعتِبَارُه فِي شَرعِ الله تَعَالى ، فَعَلَيهِ أَن يَستَعِدّ وَيَتَهَيَّأَ لِدُخُولِ هَذا العَالَم ، وَذَلِكَ بِاتّبَاعِ مَا جَاءَ عَن سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن آدابِ النَّومِ، وَمِنهَا: النَّومُ عَلَى طَهَارَةٍ مِنَ الحَدَثِ الأَكبَرِ وَالأَصغَرِ ، وَقِراءَةُ المُعَوِّذَاتِ وَآيةِ الكُرسِيِّ وَالأَذكَارِ التي جَاءَ بَيانُهَا فِي أَحَادِيثِهِ وَإِرشَادَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَذَلِكَ لأنَّ الإنسَانَ لمَّا يَنَامُ يَتوفَّى اللهُ تعالى رُوحَهُ إِلى عَالَمٍ آخَر هُوَ عَالَمٌ بَرزَخٌ أَي وَسَط مَا بَينَ عَالَمِ الدُّنيا وَعَالَمِ البَرزَخِ الذي هُوَ مَا بَعدَ المَوتِ ، وفِي هَذَا يَقُولُ سُبحَانَهُ وَتَعَالى : {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَار} - أي مَا عَمِلتُمْ .

ويقولُ سُبحَانَهُ: { اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ } - أي الأَروَاحَ - {حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا } - أي يَتَوفَّى أيضاً رُوحَ الإنسَانِ الذي لَم يَمُتْ ، لَكِن بِتَوفِيةٍ خَاصَّةٍ ، وَهِيَ نَوعٌ مِنَ التَّوفِية بِحيثُ يَبقَى للرُّوحِ أثرٌ على الجِسم فِي حَيَوِيَّتِهِ، إِلا أنَّ مَدَارِكَهُ وَحَوَاسَّهُ الخَارِجِيَّةَ تَتَوقَّفُ عَنِ الإِحسَاسِ إِلى حَدِّ مَا { فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ } أي يُمسِكُ سُبحانَه رُوحَ هذا الإِنسَانِ الذي قَضَى عليه الموتَ ، ولا يُرسِلُها إِلى هذا الإنسان ليَحيَا بِهَا جِسمُه ، وهذا هوَ الموتُ وهُوَ فَصلُ الرُّوحِ عن الجَسَدِ كُلّياً ، وتَوَجُّهُ الرّوحِ إِلى عَالَمٍ آخَر و هُوَ عَالَم البَرزَخِ ، ثُمَّ قَالَ تعَالى: { وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} أي: ويُرسِلُ رُوحَ هذا الإنسانِ النَّائِم إليه ليُعيدَ مَدارِكَه وإحسَاسَه فِي جِسمِه إِلى الحياةِ ، فيَستيقِظُ النَّائِمُ مِن نَومِه ، ولذلكَ جاءَ عنه صلَّى الله عليه وسلم فِي آدابِ النَّومِ ما رواه الإمام أحمد [1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَآلِهِ وسَلَّمَ قَالَ : [إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ ، فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا حَدَثَ بَعْدَهُ ، وَإِذَا وَضَعَ جَنْبَهُ فَلْيَقُلْ :

---

١ فِي مسنده ٧٨٧٨

بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ وَضَعْتُ جَنْبِي ، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، اللَّهُمَّ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي[1] فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا[2] فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ][3].

ومِن آدابِ الاستيقاظِ مِن النَّومِ أنَّه صلَّى الله عليه وسلم كَانَ يقولُ : [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ][4].

فالنائم يتوفَّى الله تعالى رُوحَه بنَوعٍ من التَّوفيَة ، وتُسمَّى الموت الأصغَر ، وتَعرُجُ رُوحُه إن كان مُؤمِناً صَالحاً مُواظِباً عَلَى قِراءَةِ مَا جاءَ عنه صلَّى الله عليه وسلم مِن أَذكارٍ قَبلَ النَّومِ ، تَعرُجُ رُوحُه إلى السَّماءِ ، ورُبَّمَا تَدخُلُ عَالَم البَرزَخِ وتَجتَمِعُ بالصَّالِحينَ ، وقد يُكرمُه الله تعالى بِرُؤيَةِ سَيِّدِ المُرسَلين صلَّى الله عليه وآلِهِ وسلَّم ، ورُبَّمَا يَطَّلِعُ عَلى بعضِ أُمور غَيبيَّة سَتَقَعُ في عَالَم الأَرضِ وهكذا، فتُسمَّى عِندئذٍ هذه بالرُّؤيا الصَّادِقَة أو الصَّالِحَةِ التي هِيَ جُزءٌ مِن سِتَّةٍ وأَربعينَ جُزءاً مِن النُّبوَّةِ كَمَا بيَّن ذَلِكَ صلَّى الله عليه وآلِهِ وسلَّمَ.

---

[1] أي رُوحي بالموتِ .

٢ أي إلى جِسمي ولم تَقضِ عَلَيَّ الموتَ.

٣ وَفِي رِوَايَةٍ للبُخَارِيِّ رَضِيَ الله عَنهُ، ذَكَرَهَا فِي صحيحه فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم:[إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُض فراشه بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خلفهُ عليهِ، ثُمَّ يقولُ : بِاسْمِكَ ربِّ وضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ].

٤ أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ رَضِيَ الله عَنهُ فِي صحيحه فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ ، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عنه، ولفظه قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إذا أخذَ مضجعهُ من اللَّيلِ وضع يده تحت خدِّه ، ثم يقول : [اللهم باسمك أموتُ وأحيا] وإذا استيقظ قال: [الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشُورُ] .

فقد روى الترمذي[1] عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله تعالى عنه قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عن قوله تعالى : {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} قَالَ : [هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تُرَى لَهُ].

فالرُّؤيَا المَناميَّة الصَّادِقَةُ لهَا شَأنُها واعتِبَارُها في دِينِ الله تعالى ، كَمَا نَصَّ على ذَلكَ خَبَرُ القُرآنِ الكريمِ في رُؤيا سيِّدنا يُوسُفَ على نبينا وعليه الصَّلاة والسَّلام ، ولم يَكن قَد نُبِّئ بعد ، ثم أَخبرَ عنهُ سُبحانَه : { وَقالَ يَا أبَتِ هَذَا تَأْويلُ رُؤيَايَ مِنْ قَبلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا }.

وأمَّا الرُّؤيا المُضطرِبة أو المُزعِجَةُ والتي لا تناسب في مُجرَيَاتِ حَوادِثها ، فهي حَديثُ نَفس أو أَضغَاثُ أَحلامٍ ، غَالِبَاً يَراها مَن لم يتَّبِع رسولَ الله صلى الله عليه وآلِهِ وَسَلَّمَ في قِراءةِ أذكارِ مَا قَبلَ النَّومِ ، ولم يتحقَّقْ بالآدابِ الوَارِدة عنه صلى الله عليه وآلِهِ وَسَلَّمَ لِمَن أَرادَ النَّوم.

وإنَّ التَّسبيحَ والتَّحميدَ والتَّكبيرَ بالأعداد المُتقدِّمِ ذِكرُها في الحديثِ ، هيَ مِن جُملة الأذكارِ التي أرشَدَ إليها سيدُنا رسولُ الله صلى الله عليه وَآلِهِ وَسَلَّم ، والتي ينبغي قراءتها قبلَ النَّومِ ، ومِن أسرارِها : أنَّها تُكسِبُ مَن قَالَهَا بِحُضُورِ قَلبٍ تُكسِبُه قُوَّةً وَنَشَاطاً في جِسمِه و مَدارِكه لمَّا يستيقِظُ مِن نَومِهِ.

وقد جَعَل الله تعالى النَّومَ للإنسانِ ليَستريحَ بَدَنُه مِن تَعَبِ الدُّنيا ونَصَبِها ويَهدَأَ فِكرُه مِن هُمومِها وأَحزانِها.

وَلِكَي يَجدَ الإنسانُ في نَومِهِ الغَايَةَ التي خَلَقَ الله تعالى النَّومَ مِن أَجلِهَا عَلى أَكمَلِ الوُجوهِ ، فَعَليه أنْ يَلتَزِمَ الآدابَ والأذكارَ النَّبوِيَّة لِمَا فِيها مِن حِكَمٍ وأَسرارٍ .

---

١ فِي سننه في كِتَابِ الرُّؤيَا

ومِنَ النَّاسِ مَن يَنامُ سَاعَاتٍ كَثِيرةً ولا يَجِدُ فِي نَفسِه القُوَّةَ والنَّشاطَ حينَ يستيقظُ ، وكأنَّه لم يَنَم قَط ، فجاءَ إرشادُه صلَّى الله عَليه وآله وَسَلَّم بالتزامِ تِلكَ الأذكارِ قبلَ النَّومِ حتى يستفيدَ الإنسانُ مِن نَومِه ويستعيدَ قُوَّتَه ونَشَاطَه ، ولا يحتاجَ إلى مَن يُعينُه في أُمورِ مَعَاشِه ، وهذا ما أَرشدَ إليه سيدُنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وَسَلَّم السيِّدَةَ فَاطِمَةَ عليها السَّلام بقولهِ : [ألا أدُلُّكُما عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ؟ إذا أَوَيْتُما إلَى فِراشِكُمَا، أوْ أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُما]- شَكٌّ مِنَ الرَّاوي - [فَكَبِّرا ثَلاثًا وثَلَاثِينَ، وسَبِّحا ثَلاثًا وثَلَاثِينَ، وَاحْمَدا ثَلاثًا وثَلَاثِينَ، فَهذا خَيْرٌ لَكُما مِن خادِمٍ].

وإذا كانَت التَّسبيحات والتَّحميدات والتَّكبيرات بالأعدادِ المُتقدِّمةِ في الحديثِ تُكسِبُ قائِلَها قُوَّةً وَنَشَاطاً في يَومِه إذا قَالَها قبل نومِه ، فإنَّ مِن خَصائِصها وأسرارِهَا أيضاً أنَّ مَن قَالَها بعدَ الصَّلاة فإنَّها تَجبُر ما حَصَلَ له في صلاتِه مِن غَفلَةٍ وتَقصِير ، فَلِكُلِّ وَقتٍ خَصائِصُه وأسرارُه ، ولا يَعلمُ هذا إلا مَن نبَّأه الله تعالى عَن ذَلكَ ، وهو سيدُنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وَآلِهِ وَسَلَّم الذي أَطلَعه الله تعالى فِيمَا أَطلَعه على خصائِصِ وأَسرارِ الأَوقاتِ ومُناسباتِ الأَذكَارِ لهَا.

وفي الحديث الذي رواه مسلم[1] وغيره عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ قَالَ : [مُعَقِّبَاتٌ لا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ أَوْ فَاعِلُهُنَّ، دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ : ثَلاثٌ وَثَلاثُونَ تَسْبِيحَةً ، وَثَلاثٌ وَثَلاثُونَ تَحْمِيدَةً ، وَأَرْبَعٌ وَثَلاثُونَ تَكْبِيرَةً] .

ومعنى: [لا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ] يعني أنَّ الله تعالى يُكمِلُ له صَلاتَه بهذِه التَّسبيحاتِ ، فلا يُخَيِّبُه في صَلاته وَيَتَقبَّلُها مِنه ، وإذا دَعَا الله تعالى بعدَ صَلاتِه فلا يُخَيِّبُ الله تعالى دُعاءَه.

قولُه صلى الله عليه وآلِهِ وسلَّمَ في الحديثِ المُتَقَدِّمِ : [فَكَبِّرا ثَلاثًا وثَلَاثِينَ، وسَبِّحا ثَلاثًا وثَلَاثِينَ، وَاحْمَدا ثَلاثًا وثَلَاثِينَ، فَهذا خَيْرٌ لَكُما مِن خادِمٍ] وقد دَلَّت رِوَاياتٌ أُخرى على البَدءِ بالتَّسبيحِ ثمَّ التَّحميدِ ثم التَّكبيرِ.

---

١ فِي صحيحه في كِتَابِ المَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلاةِ

وعلى الإنسان أن يعملَ بكُلِّ رِواياتِ الحديثِ فَتَارةً يأخذُ بِروايةِ: أربعةٍ وثَلاثينَ تكبيرةً ويختِمُها بـ [لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، له المُلكُ ، وله الحَمدُ ، يُحيي ويُميتُ ، وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ] ، وتَارةً يأخذُ بروايةِ: ثَلاثاً وثلاثينَ تكبيرةً ويختِمُها بـ [لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، له المُلك، وله الحَمدُ ، يُحيي ويُميت ، وهَو على كلِّ شيءٍ قَديرٌ] ، لأنَّ كلَّ رِواياتِ الحديثِ صَحيحةٌ وعَلى الإنسانِ أن يستقصِيَ العَملَ بِها.

وينبغي على الإنسانِ المواظَبَةُ على تِلكَ الأذكارِ التي أَرشَدَنا إليها سيدُنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في أوقاتِها المُعيَّنة ، وذلك حتى يجدَ لها أثَرَاً في نفسهِ ، ونُورَاً في قلبِه وعَقلِه ، ومَن نَامَ عَنها أو نَسيها فَليأتِ بها حينَ يذكرُها.

ومِثالُ هذا كَمَن أَرادَ الاستِشفاءَ بِدَواءٍ مُعيَّنٍ مِن مَرَضٍ أَصَابَه ، فعليه المُواظَبَةُ عليه في أوقاتٍ مُعيَّنةٍ ، وبِكمِيَّاتٍ مُعيَّنةٍ ، حدَّدها له الطَّبيبُ ، وإذا لم يفعلْ ذلكَ فإنه لا يَجِدُ للدَّواءِ أَثَراً ولا نَفَعَاً.

فمَن أَرَادَ تَطهيرَ نفسِه وتَزكيتَها فعليهِ التِزام واتِّباعُ مَا جَاء بَه سيدُنا رسولُ الله صلَّى الله عليهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ الذي أَرسلَه اللهُ تعالى للعَالَمِينَ مُعلِّماً ومُزَكِّياً وهَادِياً ومُرشِداً ، وأَنزَل الله عليه الكِتابَ والحِكمةَ، وبذلكَ يصيرُ الإنسانُ إنساناً عُلوِيّاً ربَّانيّاً سَامِياً أَهلاً لمَراتبِ القُربِ مِن حَضرَةِ الرَّبِّ جلَّ وعَلا.

وقد جعلَ الله تعالى في الإنسانِ قُوةً واستِعداداً لم يجعلْها في السَّماواتِ ولا في الأرضِ ولا في الجبالِ ، ألا وهي القُوةُ على حَملِ الأمَانةِ التي عَجَزَتِ السماوات والأرضُ والجبالُ عَن حَملِها وأَشفَقنَ مِنها ، وما هذِه الأمَانةُ إلا التَّكاليفُ الشَّرعيةُ بما فيها مِن عَقائِدَ وأَعمالٍ وأَقوالٍ وأَخلاقٍ و آدابٍ.

وقد تقدَّمَ الإنسانُ لَحملِ هذهِ الأمانَةِ لمَّا عُرِضَت عليه ، لما رَأى في نفسِه الحَاجَةَ إليها ، حتَّى يُزيلَ عن نفسِه صِفَة الظُّلمِ والجَهلِ ، ويَرتَقي بنفسِه في مَراتبِ الكَمَالِ الإنساني إنْ هوَ حَمَل هذهِ الأمانةَ ، وفي هذا يقولُ سبحانه: {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}.

وجُملَة : { إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً} جُملَةٌ تَعلِيليَّة لِمَا سَبَقَ ، أي لأنَّه كان ظَلُوماً جَهُولاً فَحَمَل الأمَانةَ ليُزيلَ عن نفسِه الظُّلمَ والجَهلَ بأنواعِه.

كَمَا تقولُ عن فُلانٍ إذا شَربَ الماءَ : إنَّه كانَ عَطشَانَ، أي لأنَّه كانَ عَطشَانَ.

وتقولُ لِمَن لَبِسَ الثِّيابَ : إنَّه كانَ عُريَانَ، أي لأنَّه كانَ عُريَانَ.

فلمَّا تَعرِضُ الماءَ على قَومٍ لا يتقدَّمُ للشُّربِ إلا مَن كَانَ عَطشَانَ، وهكذا تقدَّم الإنسانُ لحَملِ أَمانةِ الله تعالى الكُبرى لَما رَأَى في نفسِه الحَاجةَ إليها، ولأنَّه لا يُزيلُ عنه صِفات الظُّلمِ والجَهلِ إلا إذا حَمَلها وتَحقَّقَ بها.

قوله تعالى : {وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ} أي حَمَلَ الإنسانُ أمانة الله تعالى الكُبرى لمَّا عُرِضت عليه ، لأنَّه نَظَرَ في نفسِه فَرَأى صِفاتِ الظُّلمِ والجَهلِ لا تَزولُ عنه إلا بِحَملِ تِلكَ الأمانةِ والقيامِ بها.

وعَن هَاتينِ الصِّفتينِ -وهُما الظُّلمُ والجَهلُ- تتفرَّعُ جميعُ الدَّاءاتِ القَلبيَّةِ والعُيوبِ النَّفسية ، ولذلكَ فإنَّ الإنسانَ المؤمنَ هوَ الذي حَمَل الأمانةَ وقَامَ بأداءِ حُقوقِها عليه.

وأمَّا الكَافِرُ فقَد حَمَل الأمانةَ ، لكنَّه خَانَ الله تعالى ورسولَه صلَّى الله عَليهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَخَانَ أمانَتَه ، فلم يقُم بأداءِ حُقوقِها ، بل جَحَدَ وأنكَرَ ، مع أنَّه تقدَّم لَحملِها لمَّا عُرِضَت عليه، ولكنَّه تَكَاسَلَ وَتَقَاعَسَ عن القِيامِ بمقتضياتِ تِلكَ الأمانةِ ، وهذا معنى قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }.

وقال تعالى : { مَثلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ }- أي كُلِّفُوا بالعمل بما فيها من عقائد وأعمال وأقوال وأخلاق و آداب - { ثم لم يحملوها } - أَي لَم يَقُومُوا بِالعمَلِ بِمَا فِيهَا - { كَمَثَلِ الْحِمَار يَحْمِلُ أَسْفَاراً } الآية.

وَلَقَد جَرَى عَرضُ هَذِهِ الأَمَانَةِ عَلى الإِنسَانِ فِي عَالَمِ الذَّرِّ ، بَعدَ أن استَخرَجَ الله تَعَالى مِن صُلبِ آدَمَ عليهِ السَّلامُ ذُرِّيَّته عَلى هَيئَةِ الذَّرِّ وَتَلبَّسَتهَا أَروَاحُهُم ، وَاستَنطَقَهُم وَأشهَدَهُم عَلَى أَنفسِهِم بِقَولِهِ : { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى }..الآيةَ، ثُمَّ جَرَى عَرضُ الأَمَانَةِ عَلَيهِم فَحَمَلُوهَا لِحَاجَتِهِم إِلَيهَا وَلِيَتَشَرَّفُوا بِحَملِهَا[1].

وَلَقد جَاءَ سيِّدُنَا رَسولُ الله صلَّى الله عَليهِ وَآلِهِ وسلَّم يُبَيِّنُ للنَّاسِ حُقوقَ هَذِهِ الأَمَانَةِ وَوَاجباتهَا عليهم مِن عَقَائِدَ وَأعمَالٍ وَأخلاقٍ وَآدَابٍ.

ومِن جُملَةِ ذَلِكَ مَا أَرشَدَ إليهِ صَلَّى الله عليه وَآلِهِ وَسَلَّمَ الإنسانَ قَبلَ نَومِهِ مِن آدابٍ وَأذكَارٍ ؛ وَعَلى الإِنسَانِ أَن يُواظِبَ عَليهَا لمَا لَهَا مِن آثَارٍ وَأسرَارٍ تَعُودُ عَلَى صَاحِبهَا بِالأَجرِ وَالفَضلِ؛ وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي صَحيحِ مُسلِمٍ[2]عَنْ سيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنه أَنَّهُ قَالَ : (مَا تَرَكْتُهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِن النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قِيلَ لَهُ : وَلا لَيْلَةَ صِفِّينَ ؟

قال : وَلا لَيْلَةَ صِفِّينَ)- أي ولا تِلكَ اللَّيلَة الشَّدِيدة الدَّهماء .

وَفِي رِوَايَةِ أَبي دَاودَ[3]عن علي رضي الله عنه قال: (فما تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إلا لَيْلَةَ صِفِّينَ ، فَإِنِّي ذَكَرْتُهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَقُلْتُهَا).

---

١ ولا يَقتصِر فَهمُكَ لِمعنى الحَملِ على حَمْلِ الأَثقَالِ المَاديَّةِ المَحسُوسَةِ فقط ، فهُناكَ حَملُ المَاديَّاتِ وحَملُ المَعنَوِيَّاتِ، وَلو قُلتَ لآخَر :سأُحَمِّلُك سَلاماً لفُلان ، فهَل يعني أنَّه حَمَله على ظَهرِه ؟! وهكذا..فحَملُ الأمَانة مِنه مَا يكونُ فِي القَلبِ وهِي العَقائِدُ الإيمانيةُ ، ومِنه مَا يكونُ بالجِسمِ والجَوارِحِ وهِيَ الأعمالُ التَّعبُّديَّةُ كالصَّلاةِ والزَّكاةِ وغَيرِهما ، ومِنها حَملُ الأخلاقِ والآدابِ الشَّرعية وهو التَّحقُّقُ بها .

٢ فِي كِتَاب الذِّكرِ وَالدُّعَاءِ

٣ فِي سننه فِي كِتَابِ الأَدَبِ

وَفِي هَذا دَلِيلُ شِدَّةِ حِرصِ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ رَضِيَ الله عَنهُم عَلَى التَّمَسُّكِ بِمَا أَرشَدَ إِلَيهِ سَيِّدُنَا رَسُول اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ ، وَحَرِيٌّ بِنَا أَن نَتَمَسَّكَ بتِلكَ السُّنَنِ وَالآدَابِ النَّبَويَّةِ لِشِدَّةِ حَاجَتِنَا إِلَيهَا ، وَإِذَا كَانَ الصَّحَابَةُ الكِرَامُ رَضِيَ الله عَنهُم المَشهُود لَهُم بِالفضلِ وَالخَيريَّةِ عَلَى سَائِرِ القُرُونِ ، كَانَ مَوقِفُهُم مَع مَا هَدَاهُم إليهِ سيدُنَا رَسولُ الله صلَّى الله عَليه وَآلهِ وَسَلَّمَ مِن أَخلاقٍ وَآدابٍ عَمَلِيَّةٍ وَقَوليَّةٍ مَوقِفَ المُتَّبِعِ الحَرِيصِ المُتَمَسِّكِ ، فَكيفَ يَجِبُ أَن يَكونَ مَوقِفُ الأُمَّةِ مِن بَعدِهِم ؟

قوله صلى الله عليه وسلم في رواية الإمام أحمد المتقدمة: [وَاللهِ لا أُعْطِيكُمَا وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوَى بُطُونُهُمْ ، لا أَجدُ مَا أُنْفِقُ عَلَيْهِمْ ، وَلَكِنِّي أَبِيعُهُمْ وَأُنْفِقُ عَلَيْهِمْ أَثْمَانَهُم[1]] وَهُم فُقَراءُ المُهَاجِرينَ رَضِيَ اللهُ عَنهُم ، ثُمَّ قَالَ لَهُما صلَّى الله عليه وَآلهِ وَسلَّمَ: [أَلا أُخْبِرُكُمَا بِخَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟]

وَلبيانِ ذَلِكَ فَاعلَم أنَّ الله تَعَالى قَد ذَكَرَ قِسمَةَ الغَنَائِمِ بِقَولِهِ: { وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُربَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبيلِ } فَتُخمسُ الغَنَائِمُ أَربَعَةَ أَخماسٍ : للغَانِمينَ أي المُجَاهدِينَ ، للرَّاجِلِ سَهمٌ ، وَللفَارِسِ سَهمَانِ أَو ثَلاثَة أَسهُم - عَلَى خِلافٍ بَينَ الفُقَهَاء، وَأَمَّا الخُمُسُ المُتبقي فخُمُسٌ مِنهُ خَاصٌّ لِرَسولِ الله صلَّى الله عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم، وخُمُسٌ لِذَوي القُربَى ، وخُمُسٌ لليَتَامَى ، وَخُمُسٌ للمَساكِينِ، وخُمُسٌ لابنِ السَّبيلِ.

---

١ وَلا تَفهَمْ مِن قَولِهِ صلَّى الله عَليهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للسيِّدَة فَاطِمَةَ وزَوجِهَا سيدنا علي رَضِيَ الله عَنهُمَا:[وَاللهِ لا أُعْطِيكُمَا وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ] لا تَفهَمْ مِن هَذا أَنَّهُ صَلَّى الله عَليهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَد رَدَّ طَلَبَ ابنَتِهِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ رَضِيَ الله عَنهَا وَلم يُعطِهَا خَادِماً ، فَقَد حَقَّقَ لَهَا صَلَّى الله عَليهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طَلَبَهَا وَالغَايَةَ التي سَأَلتْ مِن أَجلِهَا الخَادمَ ، وَهِيَ الإِعَانَةُ فِي شُؤونِ البَيتِ، فَقَد دَلَّها صَلَّى الله عَليهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا يُعِينُهَا عَلَى ذَلِكَ ، وَيُعطِيهَا القُوَّةَ وَالنَّشَاطَ ، وَدَلَّهَا عَلَى مَا هُوَ خَيرٌ لَهَا مِن الخَادِمِ أَو الأَمَةِ فِي الدُّنيا وَفِي الآخِرَةِ.

فأمَّا الخُمُسُ الخَاصُّ بهِ صلَّى الله عَليهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَهُ التَّصرُّفُ بِهِ كَيفَ شاء صلَّى الله عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم، فَقَد يُنفِقُهُ عَلَى نَفسِهِ وزَوجَاتِهِ الطَّاهِرَاتِ رَضِيَ الله عَنهُنَّ أو يُؤثِرُ غَيرَهُ.

وَأمَّا الخُمُسُ الذِي هُوَ لِذَويهِ فَهُوَ لِذَوي القُربَى ، وَمِنهُم سَيِّدُنَا عَلَيٌّ وَالسَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ رَضِيَ الله عَنهُم أَجمعينَ.

فَلمَّا قَالَ لهُم صلَّى الله عَليهِ وَسَلّمَ : [والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة] أَي مِن خُمُسِه الخَاصِّ بهِ صلَّى الله عَليهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ ، وَالذي هُو حَقُّهُ صلَّى الله عَليهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ ، فَآثَرَ بِهِ أَهلَ الصُّفَّةِ وَقدَّمَهُم عَلَى أَن يُعطِيَ خَادِمَاً لابنَتِهِ عَلَيهَا السَّلامُ وَرَضِيَ الله تَعَالى عَنهَا ، وَفِي هَذا غَايَةُ الرَّأفَةِ وَالرَّحمةِ مِن رَسولِ الله صلَّى الله عَليهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، أنّهُ يُعطِي مِن نَصِيبهِ أَهلَ الصُّفَّةِ ويُؤثِرُهُم على ابنته ، إلا أَنَّهُ صلَّى الله عَليهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دَلَّهُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيرٌ لَهُمَا مِن خَادِمٍ - أي فِي الدُّنيا والآخِرَةِ - أمَّا فِي الدُّنيا بِأن يُمِدَّهمَا الله تعالى بِعَونٍ وَقُوَّةٍ تُغنِيهمَا عَنِ الخَادِمِ ، وَهِيَ خَيرٌ لَهمَا مِن مَعُونَةِ الخَادِمِ وَقُوَّتِهِ ، وَأَمَّا الخَيرُ فِي الآخِرَةِ فبِحُصُولِ الأجرِ وَالثَّوَابِ ، لأنَّ التَّسبيحَ والتَّحميدَ والتَّكبيرَ مِن الأقوَالِ الطَّيِّبَةِ التي يَتَقَرَّبُ بِهَا الإنسَانُ إلى الله تَعَالى.

وَأمَّا مَعنى التَّسبيحِ : فَهُوَ تَنزيهُ الله تعالى عَمَّا لا يَليقُ بِهِ ؛ والتَّحميدُ : هُوَ إثبَاتُ المَحَاسِن وَالكَمَالات اللائِقَةِ بالله تَعَالى ؛ والتَّكبيرُ : هُوَ الاعتِرافُ بِأَنَّهُ سُبحَانَهُ أَجَلُّ وَأعظَمُ وأَكبرُ مِمَّا سَبَّحَ الإنسَانُ وَحَمِدَ .

وَنسأَلُ الله تَعَالى التَّوفِيقَ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبِه أجمعينَ ، والحمد لله رب العالمين .

المحاضرة الرابعة **بسم الله الرَّحمن الرَّحيم**

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصَّلاة وأكمل التَّسليم على سيّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سبحانكَ لا عِلم لنا إلا ما علَّمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم.

أمَّا بعد:

بالسَّند المُتَّصل إلى الإمام الحافِظ أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيمَ بن المُغيرة بن بَردِزبه الجُعفي البُخاري رضي الله عنه قال :

بَاب التَّعوُّذِ وَالْقِرَاءة عِنْدَ الْمَنَامِ[1]

ثم أَوْرَدَ بسندِه إلى السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إذَا أخَذَ مَضْجعَهُ نَفَثَ في يَدَيْهِ، وقَرَأَ بالمُعَوِّذاتِ، ومَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ .

وفي رواية له[2] عن السيدة عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالمُعَوِّذَاتِ ، وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ ، فلمَّا اشتَكَى وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ طَفِقْتُ أَنْفِثُ عَلَى نَفْسِهِ بِالمُعَوِّذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفثُ ، وَأَمْسَحُ بيدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ عَنْهُ .

وفي روايةٍ له [3] عن السَّيِّدَة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا أَيضَاً أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بيدِهِ رجاءَ برَكتِهَا.

---

١ فِي صحيحه في كِتابِ الدَّعَوَاتِ

٢ فِي صحيحه في كِتابِ المَغَازِي

٣ فِي صحيحه في كِتابِ فضائل القرآن

وفي رواية له[1] عن السَّيِّدَة عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا أَيضَاً أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إذا أَوى إلى فِراشِه كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأ فِيهِمَا : {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} و { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } و { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}، ثمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِه وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِه، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثلاثَ مرَّاتٍ.

وفي رواية له[2]عن السَّيِّدَة عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا أَيضَاً : [كَانَ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ ، نَفَثَ فِي كَفَّيْهِ بـ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} وَبِالْمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعاً ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها : فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ] .اهـ

وهذِه مِنَ الأذكَارِ الَّتِي أَرشَدَ سيدنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أمَّتَه إلى قراءتِها قبلَ النَّوم ، وذلكَ إذا أخَذَ الإنسانُ فِراشَه ، لأنَّ هناكَ مِن الأذكارِ ما يُطلب مِن الإنسان قِراءتها إذا أَمسَى ، ومنها ما يُطلب منه قراءتها في الليل قبل أن ينامَ، ومنها ما يُطلبُ مِنهُ إذا أَخَذَ مَضْجعَه للنَّومِ .

وتُعتبرُ سُورة { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} مِن المُعوِّذاتِ مِن بابِ التَّغليب لأنَّه ليسَ فيها كَلِمَةُ { أَعُوذُ } .

والحقُّ أنَّه وإنْ لم يكُن فِيها كَلِمة { أَعُوذُ } فَفيها معنى التَّعوُّذِ والحِفظِ مِن الشَّيطانِ وشُرورِهِ ووَسَاوِسِهِ ، ففي الحديثِ الذي رواه أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

[لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ هَذَا: خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ : آمَنْتُ بِاللَّهِ] .

---

١ فِي صحيحه في كِتابِ فضائل القرآن

٢ فِي صحيحه في كِتَابِ الطِّبِّ

وفي رواية : قال صلى الله عليه وسلم : [فإذا قالوا ذلك فقولوا : { اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } - ثُمَّ لِيَتْفُلْ عَنْ يسَارِهِ ثَلاثاً ، وَلْيَسْتَعِذْ مِن الشَّيْطَان][1] .

وتُسمَّى سُورة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} سُورة الإخلاص ، لأنَّ فِيها إخلاصَ التَّوحيد لله تعالى ، ففيها معنى التَّوحيدِ العِلميِّ الاعتِقادي.

وأَمَّا سُورة {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} فتُسمَّى سُورة التَّوحيد أي التَّوحيد العَملي وهو تَوحيدُ العِبادَةِ لله تَعَالى .

وقد جاءَ في فَضلِ قِراءة سُورةِ {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} ما رواه الترمذي[2]عن فَرْوَةَ بنِ نَوْفَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه أَتى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَقُولُه إِذَا أوَيتُ إلى فِراشي.

قَالَ: [اقرَأْ { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } فإنَّها بَراءةٌ مِن الشِّركِ].

وعندَ أبي داودَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِنَوْفَل رضي الله عنه : [اقْرَأْ { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتِمَتِهَا ، فإنَّها بَراءةٌ مِن الشِّركِ][3].

والنَّفثُ هو النَّفخُ مع شيءٍ مِن الرِّيقِ وينفثُ الإنسانُ في يَدِهِ بعدَ أنَ يفرَغَ مِن قِراءةِ المُعوِّذات وَيمسح سائِر جَسَدِهِ ويَفعل ذَلِكَ ثَلاثَ مرَّاتٍ كَمَا وَرَدَ عنه صلى الله عليه وسلم.

وأمَّا قولُه تعالى : {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ } فَالمُراد مِنه السَّحَرة.

و{النفَّاثَات} جَمعُ نفَّاثة أي النَّفس التي تنفُثُ في العُقَدِ مُستَعِينة بأرواحٍ شَيطانيَّة بعد أن تتلُوَ أسماءَ شياطين وأرواح سُفليَّة خَبيثةٍ وتُريد الشَّر والضَّرر لِمَن توجَّهَت عليه بالنَّفثِ في العُقَدِ ، قال الله سبحانه وتَعَالى : {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } .

---

١ وكِلا الرِّوَايَتَينِ أَخرَجَهما أَبو دَاودَ فِي كِتابِ السُّنَّةِ

٢ كَمَا في كِتابِ الدَّعَوَات

٣ كَمَا في كِتابِ الأَدَبِ

وقد يَعتَري الإنسانَ وَحشَةٌ فكرية أو ضيق صدر فلا يظُنَّ في نفسهِ عندئذٍ أنَّه مسحُورٌ فيضطرب ويبحث عمَّن يُزيل عنه السِّحرَ ، بل عليهِ أنْ يأخذَ بالإرشادات المُحمديَّة صلَّى الله عليه وآلهِ وسلَّم في ذلكَ والتَّعاويذِ النَّبويَّة الواردةِ عن سيدنا رسولِ الله صلَّى الله عليه وآلهِ وسلَّم والتي مِن أهمِّها : قِراءةُ المُعوذات على الوجه المُتقدِّم ذِكرُه ، فيشرح الله صدره ويزيل عنه ما يشكو بإذنِ الله تعالى .

ومِمَّا يُطلب قراءته قبلَ النَّوم آيةُ الكُرسي لِما جاء عنه صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري[1] عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : [وكَّلني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ بحفظِ زكاةِ رمضانَ ، فأتاني آتٍ فجعلَ يحثو من الطعامِ ، فأخذتهُ وقلتُ : واللهِ لأرفعنكَ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

قال : إنّي محتاجٌ ، وعليَّ عيالٌ ، ولي حاجةٌ شديدةٌ.

قال : فخليتُ عنهُ ، فأصبحتُ ، فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرةَ ، ما فعلَ أسيرُكَ البارحةَ ؟

قال: قلتُ : يا رسولَ اللهِ شكا حاجةً شديدةً وعيالاً ، فرحمتهُ فخليتُ سبيلهُ.

قال : أما إنَّهُ قدْ كذبكَ وسيعود ، فعرفتُ أنه سيعود ، لقولِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ سيعودُ ، فرصدتهُ فجاءَ يحثو من الطعامِ ، فأخذتهُ فقلتُ : لأرفعنَّك إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

قالَ: دعني فإني محتاجٌ وعليَّ عيالٌ ، لا أعودُ ، فرحمتهُ فخلَّيتُ سبيلهُ ، فأصبحتُ ، فقالَ لي رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرةَ، ما فعلَ أسيركَ ؟

---

١ في كتابِ الوكالةِ

قلتُ : يا رسولَ اللهِ، شكا حاجةً شديدةً وعيالاً ، فرحمتهُ فخليتُ سبيلهُ ؛ قالَ : أما إنهُ قد كذبكَ وسيعودُ ، فرصدتهُ الثالثة ، فجاء يحثو من الطعامِ، فأخذتهُ فقلتُ : لأرفعنكَ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وهذا آخرُ ثلاثِ مراتٍ ، أنَّكَ تزعمُ لا تعودُ ثمَّ تعودُ ؛ قالَ : دعني أعلّمكَ كلماتٍ ينفعكَ اللهُ بها.

قلتُ : ما هي ؟

قالَ : إذا أويتَ إلى فراشكَ ، فاقرأْ آيةَ الكرسيِّ { اللهُ لا إلَهَ إلا هُوَ الْحَيُّ القيُّومُ} حتى تختمَ الآيةَ ، فإنَّكَ لنْ يزالَ عليكَ من اللهِ حافظٌ ، ولا يقربنَّكَ شيطانٌ حتَّى تصبحَ ، فخليتُ سبيلهُ ، فأصبحتُ ، فقالَ لي رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : ما فعلَ أسيركَ البارحةَ ؟

قلتُ: يا رسولَ اللهِ زعمَ أنَّهُ يعلّمني كلماتٍ ينفعني اللهُ بها، فخليتُ سبيلهُ.

قالَ : ما هيَ ؟

قلتُ : قالَ لي : إذا أويتَ إلى فراشِكَ فاقرأْ آيةَ الكرسيِّ ، منْ أوَّلهَا حتَّى تختمَ الآيةَ { اللهُ لا إلَهَ إلا هُوَ الْحَيُّ القيُّومُ } وقال لي :

لن يزال عليك من الله حافظ ،ولا يقربك شيطان حتى تصبح .

وكانوا أحرص شيء على الخيرِ ، فقالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم : أما إنَّهُ قدْ صدقكَ وهوَ كذوبٌ ، تعلمُ من تخاطبُ منذُ ثلاثِ ليالٍ يا أبا هريرةَ ؟

قالَ : لا.

قالَ : ذاكَ شيطانٌ] .

وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنَّه كان يقرأُ المسبِّحاتِ قبلَ أن ينامَ - أي قبلَ أن يأخذَ مضجعَه للنوم - فقد روى الترمذي[1] عن العِرباضِ بن ساريةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم كانَ يقرأُ المسبِّحاتِ قبلَ أنْ يرقدَ ويقولُ : [إنَّ فيهنَّ آيةً خيرٌ منْ ألفِ آيةٍ].

---

١ في كتابِ فضائلِ القرآنِ

والمسبِّحات هي السُّور المفتتحة بـ {سبَّحَ} و{يسبِّح} و{سَبِّحْ} ، وهي سورةُ الحديدِ والحشرِ والصَّفِ والجمعةِ والتغابنِ وسورةُ سبّحِ اسم ربِّك الأعلى.

ولا تدخل سورة الإسراء في المسبحات ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقرؤها أحياناً في الليل.

وأما الآية التي هي خير من ألف آية والموجودة في هذه السور فقال عنها بعض العلماء : هي آية : { هُوَ الأوَّلُ والآخرُ والظَّاهرُ والباطنُ وهوَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ } وهي في سورة الحديد ، وذلك لأنَّه سبحانه ذكر فيها جملةً من الأسماءِ الجامعة والتي يشتملُ كلُّ اسمٍ منها على أسماء كثيرةٍ.

ومن جملة خصائص الآياتِ الثلاثِ من أولِ سورة الحديد أنها تدفعُ الوساوس والأوهام الظُّلمانية.

وأمَّا قراءةُ الآياتِ بعدها: { هُوَ الَّذي خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستَّةِ أيامٍ ثمَّ استوى على العرشِ يعلمُ ما يلجُ في الأرضِ وما يخرجُ منها وما ينزلُ من السماءِ وما يعرجُ فيها وهوَ معكم أينَ ما كُنتمْ واللهُ بما تعملونَ بصيرٌ* لهُ ملكُ السَّمواتِ والأرضِ وإلى اللهِ ترجعُ الأمورُ * يولجُ اللَّيلَ في النَّهار ويولجُ النَّهارَ في اللَّيلِ وهو عليمٌ بذاتِ الصُّدور }

فلها من الخصائصِ والأسرارِ ما سيأتي ذِكره إن شاء الله تعالى.

وذهبَ كثيرٌ من العلماء إلى أنَّ الآيةَ التي هيَ خيرٌ من ألفِ آية هي التي في آخرِ سورةِ الحَشر ، مِن قولِه تعالى : { هُوَ اللهُ الَّذِي لا إله إلا هُوَ عالمُ الغيبِ والشهادةِ هو الرَّحمنُ الرَّحيمُ *هُوَ اللهُ الذي لا إلهَ إلا هوَ الملكُ القدُّوسُ السَّلامُ المؤمنُ المهيمنُ العزيزُ الجبارُ المتكبِّرُ سبحانَ الله عما يشركونَ * هوَ اللهُ الخالقُ البارئُ المصوِّر لهُ الأسماءُ الحُسنى يُسبِّح لهُ ما في السمواتِ والأرضِ وهوَ العزيزُ الحكيمُ }.

ويحسنُ بالإنسانِ أن يقرأَ من قولهِ تعَالى: { لَوْ أنزَلنَا هذَا القُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لرأيتهُ خاشِعاً متصدِّعاً منْ خشيةِ اللهِ وتِلكَ الأمثالُ نضربُها للنَّاسِ لعلَّهم يتفكَّرون } ... إلى آخرِ السُّورةِ ، بعد أن يتعوَّذَ باللهِ ثَلاثَ مرَّات بقوله : { أعوذُ باللهِ السَّميع العَليمِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ } .

روى الترمذي والإمام أحمد[1] عن معقلِ بنِ يسارٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : [منْ قالَ حينَ يصبحُ ثلاثَ مرَّاتٍ : أعُوذُ باللهِ السَّميعِ العليمِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ ، وقرأَ ثلاثَ آياتٍ منْ آخرِ سورةِ الحشرِ، وكَّلَ اللهُ بهِ سبعينَ ألفَ ملكٍ يصلونَ عليهِ حتَّى يُمسيَ ، وإنْ ماتَ في ذلكَ اليوم ماتَ شَهِيداً، ومنْ قالها حينَ يُمسي كانَ بتِلكَ المَنزلةِ].

وعلى المُؤمنِ أن يتقبَّلَ جميعَ ما يبلغه عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم مع التَّسليمِ والإذعانِ الاعتقاديِّ والعملي والقولي ، وإن خفيَ على الإنسانِ حكمةُ بعضِ الأحكامِ الشَّرعيَّة ، فإنَّ ذلكَ لقُصُورِ فهمهِ وعجزِ عقلهِ عن إدراكِ الحكم المُترتِّبة على الأحكامِ الشَّرعيَّة ، وعليهِ عندئذٍ أن يُسلِّم ويُذعنَ لمن آتاهُ الله تعالى الحكمةَ العاليةَ وبعثَه للعالمينَ معلِّماً ومُزكياً وهادياً ومرشداً ومبشِّراً ونذيراً وواعظاً ومذكراً ، قال الله تعالى : { وَأنزَلَ اللهُ عليكَ الكتابَ والحِكمةَ وعلَّمكَ ما لمْ تكُنْ تعلمُ وكانَ فضلُ اللهِ عليكَ عظيماً } والحكمةُ في الآيةِ هي السُّنَّة المُطهَّرة بِمَا حَوَت من أحاديثه صلى الله عليه وسلم وأفعاله وعاداته.

فهو صلى الله عليه وسلم مظهر شريعة الله تعالى ، فأقوالُه وأفعالُه وعاداتُه فيها التَّشريعُ لأمَّتِه إلى يومِ الدِّينِ فكيفَ يصحُّ عقلاً وشرعَاً عندئذٍ أن يقعَ منه خَطَأٌ ؟!

سبحانكَ هذا بهتانٌ عظيمٌ.

وقد أجابَ صلى الله عليه وسلم على من ارتاب في ذلكَ وتردَّد في نفسِه: هل يُخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم كمَا هُوَ حالُ بقيَّةِ البشرِ ؟؟

بيَّن ذلكَ صلَّى الله عليه وسَلَّم لعبدِ الله بنِ عمرو بن العاصِ رضي الله تعالى عنهمَا لمَّا كانَ يكتبُ كلَّ شيءٍ يسمعُه من رسولِ الله صلى الله عليه و آلِهِ وسلَّم ، وقالَ له بعضُ الصحابةِ : أتكتُبُ كلَّ شيء تسمعُهُ ، ورسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وَسلَّمَ بَشَرٌ يتكلمُ في الغضبِ والرِّضَا ؟

---

١ أخرجهُ الإمامُ الترمذيُّ في كتابِ فضائلِ القرآنِ والإمامُ أحمدُ في المسندِ

- أي فقد تُخرِجُه حالةُ الغضبِ عن صوابِ القولِ - .

روى أبو داود[1] عنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قالَ: كنتُ أكتبُ كلَّ شيء أسمعُهُ من رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ أريدُ حفظهُ ، فنهتني قريشٌ ، وقالوا: أتكتبُ كلَّ شيءٍ تسمعهُ ، ورسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بَشرٌ يتكلمُ في الغضبِ والرِّضَا ؟

فأمسكتُ عن الكتابة ، فذكرتُ ذلكَ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فأومأَ بأصبعهِ إلى فِيهِ ، فقالَ :

[اكتُبْ ، فوالَّذي نفسِي بيدهِ ما يخرُجُ منهُ إلا حقٌّ] .

وعند الدارمي[2]: [اكتب، فوالَّذي نفسِي بيدهِ ما خرجَ منهُ إلا حقٌّ] .

نعم ما خرجَ من فمهِ صلى الله عليه وآله وسلم وما يخرجُ منهُ : إلا حقٌّ .

إذا علمتَ هذا أيُّها العاقِل فاعلم أنَّ الله تعالى قد جعلَ من أحاديثِه وأفعالِه صلَّى الله عليه وآلهِ وسلَّمَ وآدابِه ميزاناً للمفاهيمِ والحكمةِ.

قالَ اللهُ تعالى : { اللهُ الَّذِي أنزل الكِتابَ بالحقِّ والميزانَ } ... الآية.

فلا بُدَّ إذاً منَ الرُّجوعِ إلى ما جاءَ عن سيدِنا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لتصحيحِ كلِّ فهمٍ حول آيةٍ أو أمرٍ من أمورِ الدِّينِ ، لا بدَّ من الرُّجوعِ إلى بياناته صلَّى الله عليه وآلهِ وسلَّمَ لمعرفةِ صحَّة هذا الفهمِ أو الحكمةِ، فإنْ وافقَ ما جاءَ عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآلهِ وسلَّم كان مقبولاً وإلا فهو رَدٌّ .

---

١ في كتابِ العلم

٢ أخرجهَا في المقدِّمة

وأما قولُه صلى الله عليه وسلم : [الكلمةُ الحِكمةُ ضالّةُ المؤمنِ ، فحيثُ وجدَهَا فهُو أحقُّ بها][1] فهذا يعني أنَّ هذهِ الحكمةَ التي عثر عليها المؤمنُ من أقوالِ الحكماءِ أو غيرهم لا تُسمَّى حكمة إلا إذا كانت موافقة لمَا جاءَ به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا حكمة فوقَ حكمتِه صلى الله عليه وسلم.

وقد علَّمنَا ذلكَ صلَّى الله عليه وسلَّم حينما قالَ :

[أصدقُ كلمةٍ قالها الشاعرُ ، كلمة لبيدٍ : ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلٌ ؛ وكادَ أميةُ بن أبي الصَّلتِ أن يُسْلمَ][2].

وأمَّا قوله صلى الله عليه وسلم عن أميَّة بن أبي الصَّلت:

[آمن شعره و كفر قلبه][3]

فلقولهِ :

إنْ تغفر اللهُمَّ تغفرْ جمًّا وأيُّ عبدٍ لكَ لا ألمَّا

إنّي إذا ما حَدَثٌ ألمَّا أقولُ : يااللهمَّ يااللهُمَّا

وكذلك تَمثُّله صلى الله عليه وسلم بقول الشَّاعر:

ويأتيكَ بالأخبارِ من لم تُزوِّد[4]

---

١ رواه الترمذيُّ في سننه في كتابِ العلمِ

٢رواه البخاري في صحيحه في كتابِ مناقبِ الأنصارِ

٣ رواهُ الفاكهيُّ وابنُ منده من حديثِ سيِّدنا ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما ؛ انظُر فتح الباري ، كتاب مناقب الأنصار عندَ الكلامِ على قولهِ صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ: [وكادَ أميَّةُ بن أبي الصَّلتِ أنْ يُسلم] .

٤ وصدر هذا البيت : ستبدي لك الأيَّامُ ما كنت جاهلاً

روى الترمذيُّ والإمامُ أحمدُ واللفظُ لهُ[1]عن السيدة عائشةَ رضي الله عنها قالتْ : [كانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إذا استراثَ الخبرَ ، تمثَّلَ فيهِ ببيتِ طرفةَ[2]: ويأتيكَ بالأخبارِ منْ لمْ تزوِّدِ]

فقَبِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تِلكَ الحكمَ والأقوالَ لأنَّها تُوافقُ ما جاءَ به صلى الله عليه وسلم من شرعٍ حكيمٍ ولا تعارضه ، ولما عارضتْ لم يقبلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بل ردَّها فلم يتمثَّلْ قولَ لبيدٍ في الشَّطر الثَّاني من البيتِ المتقدم ذِكرُه: وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

لأنَّ نعيمَ الجنة لا يزولُ عن أهلِ الجنَّة أبداً، بل هم في نعيمٍ دائمٍ متجدِّد .

ولقد كانَ أصحابُ سيدنا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حريصينَ كلَّ الحرصِ على اتباعِه صلى الله عليه وسلم في سائِر أفعالِه صلى الله عليه وسلم وعاداتِه ، فهذا عبدُ الله بنُ عمرَ رضيَ الله عنهما يلتقي برجل من اليمنِ كانَ قد فرغَ من طوافه حولَ الكعبةِ ، فسأله عبدُ الله بنُ عمر رضيَ الله عنهما : هل قبَّلتَ الحجَر ؟

قال : لا ، خشيتُ .

قال ابن عمرَ رضيَ الله عنهما : وماذا خشيتَ ؟

قال : كانَ فلانٌ وفلانٌ يقبلُ الحجرَ فخشيتُ أن أُزاحمهم - ولم يكن هُناكَ زحامٌ شديدٌ - فقالَ ابنُ عمرَ رضيَ الله عنهما : دعْ كلمةَ خشيتُ في اليمن وافعلْ كمَا فعلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - أي قبِّل الحجرَ كما قبَّله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [3].

---

١ أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الأدب والإمام أحمد في مسنده ٢٥١٣٤ .

٢ أي الشاعر طرفة بن العبد البكري.

٣ وهذا إذا لم يكُن الزِّحامُ شديداً ، أمَّا إذا اشتدَّ الزِّحامُ فعلى المُؤمنِ أن لا يُزاحِمَ النَّاس ، ويكفيهِ عندئذٍ الإشارةُ إلى الحجرِ واستِلامُه ولو من بعيدٍ ، وقد فعلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هذا أيضاً.

وينبغِي على كلِّ مؤمنٍ المواظبةُ على الأذكارِ التي وردت عن سيدنا رسولِ الله صلى الله عليه وآلِهِ وسلَّم في سائِر الأوقَاتِ والمُناسباتِ ، وذلك حتى تقوى صلتُه بالله تعالى ومراقبتُه له سُبحانه ، بحيثُ لو دخلَ في الصلاةِ المكتوبةِ حضرَ قلبه وخشعَ لله تعالى ، أمَّا لو غفل عن ذِكرِ الله تعالى سائرَ وقته ثم جاءَ إلى الصلاةِ شقَّ وتعذَّر عليهِ أن يخشعَ فيها ويحضرَ قلبه لإدراكِ معنى مَا يَقرأ، وسرِّ ما يفعلُ، من قيامٍ وركوعٍ وسجودٍ وقعودٍ بين يدي الله تعالى .

وممَّا أرشدَ إليه صلى الله عليه وسلم أمَّته: قِراءَة سورة { يَس } والدُّخانِ والواقعةِ كلَّ ليلةٍ ، وكذلكَ سورة السَّجدةِ والمُلك[1].

فأمَّا سورة الواقعة فهي لتسهيلِ الأرزاق الحِسِّيَّة والمعنويَّة الجسميَّة والرُّوحيَّة الإيمانيَّة ، إذ إنَّ كلَّ شيءٍ لا يظهرُ في الأرضِ إلا بعد تنزُّله من عالم العرشِ والكرسي والسِّدرة ثم السَّماوات ، قال جل وعلا : { وإنْ منْ شيءٍ إلا عندنا خزائنهُ وما ننزلهُ إلا بقدر معلومٍ } ، وقال عز من قائل : { اللهُ الذي خلقَ سبعَ سمواتٍ ومنَ الأرضِ مثلهنَّ يتنزَّلُ الأمرُ بينهنَّ }.. الآية ، أي ويظهرُ أثرُ هذا الأمر في الأرضِ ويأخذُ حكمَ الأرضِ بعد أن كانَ في السَّماءِ أمراً وهكذا...

---

[1] روى الطبراني في الصغير والأوسط عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [من داوم على قراءة يس كل ليلة ثم مات ، مات شهيداً].
وروى الترمذي في سننه في كتاب فضائل القرآن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَنْ قَرَأَ {حم} الدُّخَانَ فِي لَيْلَةٍ أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ].
وروى البيهقي في شعب الإيمان عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، لَمْ يُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا].
وروى الإمام أحمد في مسنده عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: [كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ {الم تَنْزِيلُ}السَّجْدَةَ، وَ{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}].

وينبغي على المؤمنِ أن لا تقتصر همَّتُه على طلبِ الرِّزقِ الماديِّ الجسماني دون أن يسألَ اللهَ تعالى الرِّزق الروحانيَّ الإيماني والذي يطمئنُّ القلبُ به وتنعمُ النفسُ به ويتلذَّذُ صاحبها بالتجلياتِ الإلهيةِ عليهِ والنَّفحاتِ الرَّحمانيةِ .

ومن طلبَ مالَ الدُّنيا بُغيَة الادِّخار والاستكثارِ فقط ما ناله إلا الشقاءُ في الدُّنيا والعذابُ في الآخرة ، لأنَّه منعَ حقَّ اللهِ تعالى في مالِه ، لأنَّ المالَ أمانةٌ ائتمن اللهُ تعالى عليها الإنسانَ ، وبيَّن له كيفَ يحسنُ التصرُّفَ في هذه الأمانةِ ، فإنْ هو خالفَ أمرَ اللهِ تعالى فقد خانَ اللهَ تعالى ورسوله صلَّى اللهُ عليه وآلِهِ وسلم وخانَ أمانته ، وقد قال اللهُ سبحانه وتعالى : { آمِنُوا باللهِ ورسولِهِ وأنفقوا ممَّا جعلكمْ مُستخلفينَ فيهِ فالَّذينَ آمنوا منكمْ وأنفقوا لهمْ أجرٌ كبيرٌ} .

ومِنَ الأغنياءِ مَن يحرمُ أرحامه الفقراءَ صِلاته وصدقاتِه زعماً منه أنَّه يخافُ حسدهُم أو أنَّ بينه وبينهم عداوةٌ قديمةٌ زمنَ آبائه وأجداده!

فيقالُ لهُ عندئذ : إن المواصلَ مَن يصلُ مَن قطعه ، أمَّا مَن واصل مَن وصله فهي مُقابلة لصِلتِه وليست مُواصلة ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم:

[ليسَ الواصلُ بالمُكافئ ، ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحِمُهُ وصلها][1] .

ومَن حَرَم أرحامه عطاءه وصدقته فقد حرمهم أيضاً إحسانَ الناس إليهم وصدقاتِهم لأنَّهم يظُنُّونَ أنَّ فلاناً الغَني - وهم أقرباؤه -يقومُ بحاجاتهم ويكفيهم سؤالهم ، فما أشنع عندئذٍ فعله ، وما أقبحَ ذنبه لأنَّه حرمَ أرحامه وتسبَّبَ بفعله هذا بحرمانهم من عطاءِ النَّاسِ وصدقاتهم !!.

ومن حقوقِ اللهِ تعالى على الإنسان في مالِه : القرضُ الحسنُ -الذي مع الأسفِ تركه كثير من المؤمنين وأهملوه.

---

١ رواهُ البخاريُّ عن عبدِ اللهِ بن عمرٍو رضي اللهُ عنهما في صحيحه في كتابِ الأدبِ

وليعلمْ كل إنسان أنَّ الله تعالى قد شرعَ وبيَّن وجوهَ التعاونِ بينَ المؤمنينَ ، فهناكَ الصَّدقاتُ والإقراضُ الحسن ، لأنَّ مِن النَّاس مَن لا يقبلُ الصَّدقةَ ، وهناكَ التعاونُ في الأعيانِ ويُسمَّى (العاريَّة)، ولا تجري العاريَّة على الأموال بل تُسمَّى عندئذٍ قرضاً .

وقد أوعد الله تعالى مَن منع العاريَّة إن استعار من أحدٍ شيئاً وهو قادرٌ على إعادته ، وجعل سبحانه منعَ العاريَّة من صفةِ المُنافقينَ ، فقال جلَّ وعلا : { أرأيتَ الَّذي يكذِّب بالدِّينِ* فذلكَ الَّذِي يدُعُّ اليتيمَ * ولا يحضُّ على طعامِ المسكينِ * فويلٌ للمصلِّينَ * الَّذينَ هُم عن صلاتهم ساهُونَ * الذين همْ يراءونَ * ويمنعونَ الماعونَ}.

والماعونُ : هو الإناءُ في الأصلِ ، ويشملُ المعنى كُلَّ من منعَ غيره إعارةَ شيءٍ وهو قادرٌ على أن يُعيره ، وهكذا شرعَ سُبحانه التَّعاونَ بالأموالِ إقراضاً وفي الأَعيانِ عاريَّةً.

ومِن الإثمِ الذي وقعَ فيه أغنياءُ الزَّمانِ أن مَنَعُوا الإقراضَ الحسن ، مِمَّا جَعل المحتاجينَ يلجؤونَ إلى القرضِ بالرِّبا، والذي يقعُ إثمه على فاعله والمُتسبِّب فيه.

ونسألُ الله التَّوفيقَ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة الخامسة بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصَّلاة وأكمل التَّسليم على سيّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سبحانكَ لا عِلم لنا إلا ما علَّمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم.

أمَّا بعد:

بالسَّند المُتَّصل إلى الإمام الحافِظ أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيمَ بن المُغيرة بن بَردِزبه الجُعفي البُخاري رضي الله عنه قال :

باب الدعاء نصف الليل

ثمَّ أورد بسنده إلى أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : [يتنزَّلُ ربُّنا تباركَ وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا حين يبقى ثلثُ[1] الليلِ الآخرُ ، يقولُ : من يدعوني فأستجيبَ لهُ ؟ منْ يسألنِي فأعطِيهُ؟ منْ يستغفرني فأغفرَ لهُ؟] .

وقد أشارَ البخاريُّ رضيَ الله عنه في ترجمته لهذا الحديثِ بقوله : (نصف الليل) أشارَ إلى روايةٍ للحديثِ[2]: [ينزلُ اللهُ عزَّ وجلَّ كلَّ ليلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا لنصفِ اللَّيلِ الآخرِ أو لثلثِ اللَّيلِ الآخرِ - شكٌّ من الراوي - ، فيقولُ: مَن ذا الَّذي يدعوني فأستجيبَ لهُ؟

مَن ذا الَّذي يسألني فأعطيهُ ؟

مَن ذا الَّذي يستغفرني فأغفرَ لهُ؟

حتَّى يطلُعَ الفجرُ ، أو ينصرفَ القارئُ مِنْ صلاةِ الصبحِ]

---

١ أي وثلث الليل الآخر داخلٌ في النِّصف .

٢ أخرجها الإمام أحمد عَنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه .

وفي رواية عند مسلم وغيره : [إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ][1].

وفي رواية في مسند الإمام أحمد : [ثلثا الليل] [2].

وفي رواية[3] : [ثلث الليل الأول] .

وفي رواية عند الإمام أحمد أيضاً : [ينزلُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كلِّ ليلةٍ إلى السَّماء الدُّنيا فيقولُ :هل من سائلٍ فأعطيهُ ؟

هل من مستغفرٍ فأغفر لهُ ؟

حتَّى يطلعَ الفجرُ] [4]- وهذا المطلقُ يُحملُ على المقيَّدِ المذكورِ في الرِّواياتِ السَّابقةِ.

وفي رواية عند البخاري: [ينزلُ ربُّنا تباركَ وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا حينَ يَبقى ثلثُ اللَّيلِ الآخر يقولُ :

من يدعوني فأستجيبَ لهُ ؟

من يسألني فأعطيهُ ؟

منْ يستغفرني فأغفرَ لهُ ؟][5].

وقوله صلى الله عليه وسلم : [تبارك وتعالى] فيه بيانُ تنزيهِ الله تعالى و عُلوّه عن الشَّبهِ والنَّظير والمثيل في ذاتِه وصفاتِه وأفعالِه سبحانه وتعالى.

---

١ انظر صحيح الإمام مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها والسنن الكبرى للنسائي وكتاب النزول للدارقطني ص ٧

٢ ١٥٦٢٥

٣ انظر صحيح الإمام مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها وسنن الترمذي كتاب الصلاة

٤ ١٦١٤٥

٥ صحيح البخاري كتاب الجمعة

وإنَّ أصلَ العقيدةِ التي فطرَ الله تعالى عليها أهلَ السَّماءِ والأرض هي تسبيحُ الله تعالى وحمدُه ، بمعنى تنزيه الله تعالى عن النَّقائصِ والعيوبِ والآفاتِ وعن كلِّ ما لا يليقُ به سبحانه ، وإثبات المحاسنِ والكمالاتِ اللائقةِ به سبحانه على وجهٍ لا يتناهى ، وهذا معنى قولك : (سبحانَ الله وبحمدِه) أي: أُسَبِّحُ الله ، يعني أُنزّه الله تعالى عن كل ما لا يليقُ به ، وأُثبِتُ له المحاسنَ والكمالاتِ التي اتَّصفَ بها سبحانه ، فهو تسبيحٌ مصحوبٌ بالحمدِ ، وهذا ديدنُ كلّ شيءٍ خلقه الله تعالى وفطره عليه ، قال تعالى : {تسبّحُ لهُ السَّمواتُ السَّبعُ والأرضُ ومنْ فيهنَّ وإن من شيءٍ إلا يسبّحُ بحمدهِ ولكنْ لا تفقهونَ تسبيحهمْ إنَّهُ كانَ حليماً غفوراً }.

وقد يُكتفى أحياناً بذكرِ التَّسبيحِ فقط فيتضمَّنُ معنى الحمدِ أيضاً ، وقد يذكر الحمدُ فقط فيتضمَّن معنى التَّسبيحِ أيضاً ، فتسبيحٌ فيه حمدٌ ،وحمدٌ فيه تسبيحٌ.

وقوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف: [يَنزلُ ربُّنا تباركَ وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السَّماء الدُّنيا - أو كما في رواية : يتنزَّلُ ربُّنا تبارك وتعالى] هو نزولٌ أو تنزُّلٌ منزَّهٌ عن الشَّبهِ والمثلِ ، فليسَ نزولُه سبحانه انتقالاً من علو إلى سُفل ، بل هو نزولٌ أو تنزُّلٌ لائقٌ به سبحانه ، مُنزهٌ عن الشَّبه والنَّظيرِ ، ولا يمكن للمخلوقِ أن يدركَ حقيقةَ صفةٍ من صفاته سبحانه أو يحيط بها.

وقد أشارَ صلى الله عليه وسلم إلى تنزيهِ الله تعالى في ذلكَ بقوله : [تباركَ وتعالَى] ومعنى [تباركَ]: أي كثُرتْ أسماؤه وصفاتُه و كمالاتُه على الوجهِ الثَّابت والدَّائمِ.

واعلم أنَّ كلمة [تباركَ] تدلُّ على ثلاثة معاني : الكثرةُ في صفاتِ الله تعالى وأسمائِه ، وأنَّها دائمةٌ أزلاً أبداً لا تتغيَّر ولا تتبدَّلُ ، وفيها معنى التَّعاظُمِ والتَّعالي، فلا نظيرَ له ولا شبيهَ له سبحانه في أسمائِه وصفاتِه جل وعلا[1].

[1] انظر لسان العرب ٩٣٥/١٠

ومعنى : [ينزلُ ربُّنَا] أي نُزولاً مُنزّهاً عن الشّبهِ ، يليقُ بجلالِه وعظمتِه سبحانه ، وهذا مذهبُ السَّلفِ رضيَ الله عنهم في الاعتِقادِ ، وهو إثباتُ ما وردَ عنه سبحانهُ في القُرآن الكريم والحديثِ الشَّريف مع التَّنزيه عن التَّشبيه، وأمَّا مجرَّد الإثبات بلا تنزيهٍ ، فهو تشبيه وتجسيمٌ يُنافي صحَّة الإيمانِ بالله تعالى الذي قال جل وعلا: { ليسَ كمثله شيءٌ وهو السَّميعُ البصيرُ } .

ومَنْ أثبتَ ولم ينزِّه فقد شبَّه وجسَّم ، ومن لجأ إلى التَنزيه حتى ظن أنَّه لا وجودَ ولا حقيقةَ لصفاتِه سبحانه فقد عطَّل ما أثبته سبحانه لنفسِه.

والله تعالى حقٌّ واجبُ الوجودِ ، فلمَّا قال عز من قائل: { ليسَ كمثلهِ شيءٌ} فلا يحملنَّك ذلكَ على تعطيلِ الصّفاتِ فقد قال سبحانه : { وهوَ السَّميعُ البصيرُ } : أي فهو جل جلاله حقٌّ واجبُ الوجودِ متَّصفٌ بالكمالاتِ المطلقةِ اللائقةِ به سبحانه على وجهٍ لا يتناهى.

ومِنَ العلماءِ مَن يؤولُ تلكَ الصّفاتِ المتشابهةِ بصرفِ معناها إلى معنى آخرَ يليق به سبحانه ، وهو مذهب علماء الخلفِ في ذلك ، ويُلجأُ إلى ذلكَ إذا كان فهمُ الإنسانِ وعقله قاصراً عن تقبلِ معنى التنزيهِ وعدمِ التَّشبيه في صِفات الله تعالى ، وعلى هذا فيكونُ معنى قوله صلى الله عليه وسلم : [ينزلُ ربُّنا تباركَ وتعالى كلَّ ليلةٍ] يعني: تتنزَّلُ رحماتُه وأسرارُه وأنوارُه وألطافُه جل وعلا ، ومعنى قوله تعالى : { يدُ اللهِ فوقَ أيديهمْ } أي قدرة الله وهكذا...

وليس صحيحاً ما يقال: إنَّ مذهبَ السَّلفِ أسلمُ ، ومذهبَ الخلفِ أعلمُ وأحكمُ ، بل هو كلامٌ منقوضٌ مردودٌ ، و خلاصتُه : أنَّ من كانَ عنده استعدادٌ لتلقّي عقيدةِ السلف كما هي دونَ أن ينتابَه شيءٌ من التَّشويشِ والاضطرابِ فعليه بمذهبِ السَّلفِ وهو الأكمل، وأمَّا منْ تقاصرَ بفهمِه وعقلِه عن قبولِ ذلك مع التَّنزيه عن التَّشبيه فعليهِ بمذهبِ الخلفِ وهو مذهبُ التأويلِ ، وهو مذهبٌ صحيحٌ في الاعتقاد والإيمانِ ، فكِلا المذهبينِ صحيحٌ ولكنَّ مذهبَ الخلفِ كاملٌ ، ومذهبَ السَّلفِ أكملُ.

أمَّا السَّلفُ الصَّالحُ على لسانِ المحدِّثين وعلماءِ التَّفسيرِ وعلماءِ التَّوحيد - لا علماء الكلام - فَهُمْ أهلُ القرونِ الثَّلاثةِ المشهودِ لهم بالخيريَّةِ على لسانِ خيرِ البريَّةِ صلى الله عليه وسلم بقوله : [خيرُ النَّاسِ قَرني ، ثمَّ الَّذين يلونهمْ، ثمَّ الذينَ يلونهمْ][1]- وفي بعض الروايات : [ثمَّ الذينَ يلونهمْ][2] .

وقد وُجدَ في زمنِ الخلفِ رضي الله عنهم أُناسٌ لا استعدادَ عندهم لتلقّي عقيدةِ السَّلفِ في إثباتِ ما وردَ على ما وردَ مع التَّنزيه ، فلجؤوا إلى تأويل الصّفات على المعاني اللائقةِ.

فلمَّا جاءَ رجلٌ إلى الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلَ رضيَ الله عنه -وهو من السَّلفِ الصَّالحِ لا مِن أتباع التَّابعين - وقال له :

ما معنى قولِ الله تعالى : { يَدُ اللهِ فوقَ أيديهمْ } ؟

قال له : يعني : قُدرةُ الله تعالى فوقَ قدرتِهم.

فأوَّلَ له ، إذ لم يرَ فيه الاستعدادَ والتَّحملَ لمذهبِ السَّلفِ في العقيدةِ .اهـ

قولُ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله سلم : [ينزلُ ربُّنا تباركَ وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا حينَ يبقى ثلثُ اللَّيلِ الآخرُ] ... الحديث

أي فهوَ وقتٌ يتجلَّى الله تعالى فيه على عبادِه بالقبولِ والإجابةِ والمغفرةِ والرَّحمةِ ، وبذلك التَّجلي ترتفعُ الحجُب حتى تفيضَ الأسرارُ والأنوارُ وتصلَ إلى السَّماءِ الدنُّيا ، وما على أهلِ الأرض إلا التَّوجُّه وقتئذٍ لاستنزالِ تلكَ الخيراتِ والبركاتِ والرَّحماتِ منَ السَّماءِ الدنيا ، كسحابةٍ أظلَّتْ أرضَ قومٍ فعليهم وقتئذٍ أن يستمطروها من الله تعالى لينالوا ماءَها وخيرَها.

---

١ رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

٢ مسند الإمام أحمد ٣٤١٣

فعلى المُؤمنِ العاقلِ أن يلبّي دعوةَ ربّه في ذلكَ الوقتِ وينهضَ من نومه وينتبهَ من غفلتهِ ليقابلَ ذلكَ التَّجلي الإلهي بالتَّحلي بعبادةِ الله تعالى ودعائه والصَّلاةِ له سُبحانه ، وهذا قوله تعالى في الحديث السابق :[مَنْ يدعوني فأستجيبَ لهُ ؟] أي فأحصّل له الإجابةَ ، لأنَّ إجابةَ الله تعالى لعبده فيما يدعوهُ له تكونُ بمُوجب حكمتهِ سبحانه وعلمِهِ بما هو - أي:

هذا العبد السَّائل - أحوجُ إليه ، كما جاءَ بيانُ ذلكَ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في أنَّه سبحانه إمَّا أن يعَجِّل إجابةَ الدَّاعي ويعطيه ما سأله ، وإما أنْ يدفعَ عنه منَ البلاءِ ما لم يكُن يعلمه ذلكَ العبدُ ، وإمَّا أن يدَّخر لهُ إجابةَ دعوتِه إلى الآخِرةِ لعلمهِ سبحانه بحاجةِ العبدِ إلى ذلكَ يومَ القيامةِ[1].

وإنَّ الله تعالى يجيبُ دعوةَ عبدهِ إذا استوفَى الدَّاعي شُروط الإجابة التي أعظمُها : حضورُ القلبِ في الدُّعاءِ والتَّوجُّه إلى الله تعالى ، وذلكَ ما لم يدعُ العبدُ بإثمٍ أو قطيعةِ رحمٍ.

وقد يجيبُ الله سبحانه وتعالى دعوةَ العبدِ المُشركِ إذا دعاهُ لأمورِ الدنيا ، كما قال سبحانه : {وترجونَ منَ اللهِ ما لا يرجونَ} ، فأثبتَ للمشركينَ رجاءً منَ الله تعالى لكنْ في أمورٍ دنيويةٍ ، ومنها كثرةُ المالِ والأولادِ.

وأمَّا دعاءُ المشركينَ ربَّهم في أمورِ الآخرةِ كطلبِ المغفرةِ وهم على شركِهم أو سؤالهم تخفيفَ العذابِ يوم القيامةِ فلا يجيبهم سبحانه إلى ذلك ، كما قال تعالى: {ومَا دعاءُ الكافرينَ إلا في ضلالٍ }.

---

[1] روى الإمام أحمد في مسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:[مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا.
قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ ،قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ].

وإنَّ قوله تعالى مخاطباً المؤمنين: { وترجونَ منَ اللهِ ما لا يرجونَ } أي ما لا يرجُوهُ المشركونَ من حطامِ الدُّنيا ، إنَّ في الآية تنبيهاً للمؤمنِ أنْ لا تكون همتُه وعزيمتُه في الدُّعاءِ مقتصرةً على أموالِ الدُّنيا وما فيها ، كما هو حالُ أهل الدُّنيا من المشركين وغيرهم ، بل لتكُن همَّته أعلى من ذلك ، ورغبته فيما عندَ الله تعالى أعظم ، وليسألِ الله تعالى أن يكرمهُ بنيلِ مقاماتِ القربِ منه سبحانه والتَّلذُّذِ بعبادتِه وطاعتِه جل وعزّ ، وإلى هذا أشارَ قوله تعالى: {وَمنهمْ منْ يقولُ ربَّنا آتنا فِي الدُّنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وَقِنَا عذابَ النَّار } أي: آتنا ما يحسنُ به حالُنا في الدُّنيا وفي الآخِرة ، فسألوهُ سبحانه خيرَ الدُّنيا وخيرَ الآخِرة ، وسألوهُ الوقايةَ من النَّارِ ، ونسألُ الله تعالى ذلكَ مِن فَضلِهِ .

وعلى المؤمنِ أن لا يضيّعَ وقتَ السَّحرِ بالنَّوم أو السَّهرِ فيمَا لا فائدةَ منه ، ولتكنْ له حصَّةٌ كلَّ ليلةٍ يقومُ فيها لله تعالى مصلّياً داعياً مستغفراً ربَّه سبحانه وتعالى ، وليتعرَّضْ لنفحاتِ الله تعالى في ذلكَ الوقتِ.

وإنَّ أشدّ ما يتحسَّر عليه المؤمنُ بعد موتِه هو تضييعهُ لوقتِ السَّحرِ بالنَّومِ والغَفلةِ ، وذلكَ لمَا يرى ويشهدُ من أنوارِ وأسرارِ التَّجلياتِ الإلهيةِ على القائمينَ في السَّحَرِ ، والتي حَرمَ نفسَه خيرَها لمَّا كانَ في الدُّنيا.

ونسألُ الله تعالى العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ ، بجاهِ رسولِه ذي الخُلُقِ العظيمِ صلى الله عليه وسلم أن يتفضَّلَ علينا بما هو أهلُه، إنَّه هو أهلُ التَّقوى وأهلُ المغفرةِ .

ونسأل الله التوفيق، وصلَّى الله على سيدِنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً، والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة السادسة بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصَّلاة وأكمل التَّسليم على سيّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سبحانكَ لا عِلم لنا إلا ما علَّمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم.

أمَّا بعد: بالسَّند المُتَّصل إلى الإمام الحافِظ أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيمَ بن المُغيرة بن بَردِزبه الجُعفي البُخاري رضي الله عنه قال : باب الدعاء في الصلاة

ثم أورد بسنده إلى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: [قُلْ:اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

كُنَّا نَقُولُ فِي الصَّلَاةِ:" السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ ،السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ: [إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَقُلْ:" التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ "فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ صَالِحٍ" أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ "ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِن الثَّنَاءِ مَا شَاءَ][1].

أي من الدعاء .اهـ

قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:(عَلِّمْنِي دُعَاءً) -أي: دعاء جامعاً للخير في الدنيا و الآخرة - (أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي) - أي: أدعو به في صلاتي لأنها أقرب أحوال العبد من ربه ، والصلاة صِلة العبد بربه أي: أقرب ما يكون منه ، وإن أقرب أحوال الصلاة إلى الله تعالى هي حالة السجود .

---

[1] صحيح البخاري كتاب الدعوات

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : [قُلْ:اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا] - وفي رواية : [اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا][1] - ولا تنافي بين الروايتين ولا بأس للمصلي أن يقول مرةً بهذه ومرةً بتلك ، أو أن يقول :

(اللَّهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً كبيراً).

قوله صلى الله عليه وسلم:[قُلْ:اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا]

مع أن الصديق رضي الله عنه لم يرتكب الكبائر في حال الجاهلية فما بالك بعد الإسلام؟!

نعم إن الذنْب أمر نسبي يختلف من مُذنِب إلى آخر على مرتبة كل مؤمن في الإيمان .

والقاعدة المشهورة في بيان ذلك:(حسنات الأبرار سيئات المقربين ، ومُباحات عوام المؤمنين سيئات عند الأبرار) والأبرار هم أهل الإيمان الكامل الذين تحققوا بشعب الإيمان كلها ، أما المقربون فقد زادوا على الأبرار وسبقوهم بالنوافل ، فقد يصدر من المؤمن الكامل هفوات وتقصيرات تصير في حقه ذنْباً ، وذلك بالنسبة لمقامه عند الله تعالى ومقام الله عليه ، ومن ذلك ما علّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه ، لا أن أبا بكر رضي الله عنه قد وقع في المعاصي والذنوب المعروفة إذ إنه رضي الله عنه بلغ من ورعه أن يضع تحت لسانه حصاة[2] لئلا يتسرع في الكلام خشية أن يقع في غيبة أحد أو في كلام سيىء أو لا طائل منه فتذكّره تلك الحصاة أن يتفكر فيما سيقوله ، فإن كان خيراً نطق به وإلا أمسك عن الكلام .

---

[1] طرف حديث في صحيح مسلم كتاب الذِّكر والدعاء والتوبة والاستغفار

[2] انظر كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ١١١/٣

واعلم أنه كلما ارتقى المؤمن في مراتب الإيمان صفا قلبه وقوي نور بصيرته، ومِن شأن النور أن يظهر لك الأمور ، وكلما قوي النور كشف لك عن حقائق الأمور ، وكذلك لما يقوى نور الإيمان في قلب المؤمن يرى في نفسه ذنوباً لم يكن يراها من قبل فيستغفر منها ويتوب إلى الله تعالى منها... وهكذا.

ألا ترى إلى نور الشمس المادي المشهود بالأبصار إذا دخل الغرفة من نافذة متوجهاً كالشعاع ، فترى خلال الشعاع الغبار الدقيق الذي لا يظهر للعيان عادة ، بل إن قوة نور الشمس أظهرت النواعم والدقائق ، وكذلك إذا دخل نور الإيمان قلب المؤمن فإنه يرى هفواته وذنوبه وزلاته التي كان في عمى عنها مع أنها كانت موجودة فيه إلا أنه لم يرها إلا لما قوي نوره فتحتاج هذه الدقائق و الصغائر إلى مغفرة الله تعالى ورحمته .

ومِن الذنوب عند أهل الإيمان الكامل الغفلة عن المسبِّب حين تعاطي الأسباب ، إذ لا بد للمؤمن أن يراقب الله تعالى في جميع أحواله فلا يغفل أبداً عن أن الله تعالى هو الذي يُذهب ظمأه بشربة الماء ، وهو سبحانه الذي يقويه ويغذيه بتناول الطعام ، وهو سبحانه الذي يشفيه بتناول الدواء، وهو سبحانه الذي يبقي عليه حياته بتنفس الهواء ... وهكذا شأن الأسباب ، وليس للأسباب تأثير من ذاتها بل هي خلق مِن خلق الله تعالى، خلقها الله تعالى وأمر بالأخذ بها مع عدم الغفلة عن أنه سبحانه هو المؤثِّر والفعّال فيها ، إن شاء أعملها ، وإن شاء أهملها ، فقد يُحرِق بالنار وقد لا يُحرِق كما جعلها برداً وسلاماً على خليله سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وقد يُغرِق بالماء وقد لا يُغرِق كما أغرق قوم نوح وأنجى نوحاً على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وأنجى مَن معه في السفينة ، وقد يشفي بالدواء وقد لا يشفي لحكمة ربانية وهكذا .

فمن غفل عن رؤية المسبِّب والمؤثِّر في الأسباب -وهو الله تعالى- فقد وقع في الشرك الخفي ويسمى الشرك الأصغر وهو ذنْب كبير يحتاج إلى توبةٍ واستغفار.

ولذلك من نظر إلى نفسه ورأى أن له وجوداً وقواماً وقوة وسمعاً وبصراً وإرادة وغفل عن أن ذلك كله بخلق الله تعالى وقدرته وإيجاده ومدده .. وأن لا شيء له من ذاته ، من غفل عن ذلك فقد وقع في الشرك الأصغر أيضاً .

وربما يعرف العبد ذلك معرفة عقلية علمية ليست معرفة تحققية فيقال: هذا أيضاً ذنْب ، إلا أن التفكر والنظر إلى أن قوتك وقوامك ووجودك وسمعك وبصرك إنما هي بإيجاد الله ومدده أمر مطلوب ملاحظته ومشاهدته على الدوام ، والغفلة عنه -ولو للحظة- ذنْب يحتاج إلى استغفار، فافهم من هنا معنى الذنْب في حق المقربين أو الأبرار أو عوام المؤمنين .

قوله صلى الله عليه وسلم :[وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ] وفي هذا توحيد لله تعالى بأنه هو وحده الغفار ، ولا أحد سوى الله تعالى يستطيع أن يغفر الذنوب وذلك من وجوه متعددة كنا قد ذكرناها في غير هذا المبحث ، ومنها أن لا أحد يستطيع أن يزيل ظلمة الذنب عن القلب إلا الله تعالى وذلك لأن للذنوب آثاراً ظلمانية على قلب المذنب نفسه ، وفي الحديث:[إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ][1]....

كما أنه لا أحد يستطيع أن يمحو أثر الذنب من كتب الملائكة ومن حافظة الملائكة الكرام الكاتبين ومن حافظة الأشهاد -وهي كل مَن شاهد المذنب أثناء ذنْبه ممن حوله من الأرض والجدار والشجر والمدر- وهكذا لا يستطيع أحد أن يمحو أثر ذلك كله إلا الله تعالى ، كما أنه لا أحد يغفر الذنوب على الحقيقة إلا الله تعالى فهو سبحانه وتعالى يغفر لعبده دونما مقابل ، بل هو سبحانه الغني عن سائر خلقه أزلاً أبداً ، وأما العبد إذا عفا عمن أساء إليه فقد غفر له طمعاً في مغفرة الله تعالى كما في الحديث [ارحموا تُرحموا، واغفروا يغفر الله لكم][2] .

---

[1] طرف حديث في سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن

[2] طرف حديث في مسند الإمام أحمد ٦٣٤٩ والأدب المفرد للإمام البخاري

واعلم أن النفس لوحٌ يلوح فيها ما يبدو منك ، وذلك لأن اللوح يطلق على كل ما لاح أمامك سواء كان مسطوراً أم مشهوداً بصور أخرى ، ويلوح في نفس الإنسان آثار أعماله وأقواله ، فإن كانت أعمالاً صالحة وأقوالاً خيرة لاحت في نفسه أنوارها ، وإن كانت غير ذلك لاحت في نفسه ظلمة المعاصي، ولو كشف لإنسان الحجاب عن لوح نفسه لقرأ فيها ظلمات الذنوب ولرآها أشد من ظلمة الليل، لكن الله تعالى الغفار يستر عباده ولا يفضحهم ، إلا من جاوز حده كلياً رفع الله عنه الستر وفضحه ، ونسأل الله العافية .

وقال بعض العارفين في قوله تعالى : { اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً } أي انظر في نفسك فتلوح لك فيها أعمالك وأقوالك في الخير والشر فكن أنت المحاسب لنفسك .

قوله صلى الله عليه وسلم : [فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ] أي مغفرة من فضلك وكرمك ، مغفرة عامة تأتي على ذنوبي كلها فتغفرها .

وقوله صلى الله عليه وسلم : [مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ] يعني : مغفرة من فضلك، لا أنها مُرتّبة على توبتي واستغفاري ، فإن استغفاري وتوبتي قاصران عن أن يحيطا بذنوبي .

قوله صلى الله عليه وسلم : [وَارْحَمْنِي] أي اجلب لي خير الدنيا والآخرة - [إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] فقوله صلى الله عليه وسلم : [الْغَفُورُ]يقابل قوله: [فَاغْفِرْ لِي] ، وقوله : [الرَّحِيمُ] يقابل قوله : [وَارْحَمْنِي] ، وجملة [إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] جملة تعليلية أي : لأنك أنت الغفور الرحيم فاغفر لي وارحمني وفي هذا توسل إلى الله بأسمائه سبحانه .

ومما جاء في أدعية آخر الصلاة قبل السلام ما رواه البخاري أيضاً عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : [اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ][1] .

---

[1] طرف حديث في صحيح البخاري كتاب الأذان

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يدعو بذلك آخر صلاته ليعلّم الأمة أهمية الدعاء وحتى يسمع الصحابة ويبلغوا عنه ، وإلا فهو صلى الله عليه وسلم معصوم من عذاب القبر ، ولن يدرك المسيح الدجال .

وقال بعضهم : إنه صلى الله عليه وسلم يعوِّذ أمته بقوله: [اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ] فالرسول صلى الله عليه وسلم يعيذ أمته المتبعة له من عذاب القبر ومن فتنة الدجال ، فكأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر لأمتي" ، وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوف رحيم فدعا لهم وأعاذهم .

قوله صلى الله عليه وسلم : [وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ] والدجال في اللغة هو الكذاب المحتال ، وإذا أطلقت كلمة الدجال فيراد منها دجال آخر الزمن الذي جاء ذِكره بالأحاديث المتواترة ، ومن أنكره فهو كافر.

وإن مِن جملة عقيدة أهل السنة والجماعة الاعتقاد بظهور الدجال آخر الزمن ، وأن سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام ينزل ويقتله ، وتطلق كلمة [المسيح الدجال] على دجال آخر الزمن بالتقييد فيقال: المسيح الدجال ، أما إذا أطلقت كلمة المسيح فيراد منها سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام .

وذكر بعضهم أنه يطلق على الدجال:(المسيخ) بالخاء، وعلى غيره (المسيح) بالحاء[1]، إلا أن كل الأحاديث الصحيحة جاءت على ذِكر المسيح الدجال بالتقييد.

أما الدجال فقد سمي بـ (المسيح) لأنه أحد جانبي وجهه ممسوح من العين[2] إلى الخد فهو ممسوح العين اليمنى وما حولها ، ونسأل الله العافية ، كما أنه يمسح الأرض[3] أو يطوف الأرض ما عدا الحرمين .

---

[1] انظر البحث حول هذه المسألة في فتح الباري ١٣٦/٢٠

[2] جاء في مسند الإمام أحمد قوله ﷺ :[أُنْذِرُكُم الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ وَهُوَ رَجُلٌ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ...] الحديث

[3] انظر حاشية السندي على سنن ابن ماجه ٢٨٧/٢

وأما سيدنا عيسى عليه السلام فهو المسيح بمعنى (ماسح) [1]، فكان يمسح الأكمه و الأبرص والأعمى والمريض فيبرأ بإذن الله تعالى كما جاء في الآية: { وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله} كما أنه عليه السلام مسحه جبريل عليه السلام بأمر الله وبارك فيه ، وإن فتن المسيح الدجال فتن كبيرة تجتمع فيها جميع الفتن التي مرت على أهل الأرض من لدن سيدنا آدم عليه السلام[2]، ويأتي الدجال بالعجائب و الغرائب ما يفتن به ضعفاء الإيمان كما ورد أنه يمر على مقبرة فينادي أهلها فيقومون من قبورهم فيراهم الناس بصور من يعرفونهم من أقرباء و أصحاب ، وما ذلك في الحقيقة إلا شياطين تتمثل بصورة آدمية ، فيراهم الناس ويظنون أنهم أهل تلك المقبرة [3].

قوله صلى الله عليه وسلم:[وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ] أي من فتنة الحياة الدنيا ، فمن الواجب على المؤمن أن يستعيذ بالله تعالى من أن يُفتن في دينه ، ويسأل الله أن يحفظه من فتن الحياة الدنيا ، فقد تكون هذه الفتن في ماله أو ولده أو زوجه ، وقد قال تعالى : {واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم } والفتنة في الأصل ما فيه الافتتان و الاختبار ، والفتنة والمحنة والابتلاء والاختبار كلها بمعنى واحد ، فقد يَفتن الله تعالى العبد ويختبره في أمر ما، فإما أن يبقى على إيمانه وتمسكه وإما أن يزيغ ويضل ونسأل الله العافية .

---

[1] انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٣٩٣/٨

[2] جاء في مسند الإمام أحمد قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال]، وفي رواية عنده : [ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أعظم من الدجال].

[3] جاء في سنن ابن ماجه ومستدرك الحاكم قوله صلى الله عليه وسلم عن الدجال: [وإن من فتنته أن يقول لأعرابي : أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك، أتشهد أني ربك ؟ فيقول : نعم ، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان : يا بني ، اتبعه ، فإنه ربك]... الحديث

وقال تعالى : {وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون } أي اختبرهم الله تعالى بالنعم والخيرات التي يحسن بها حالهم : هل يعترفون ويشكرون أم يجحدون ويكفرون؟ واختبرهم سبحانه بالمصائب والنوائب التي يسوء بها حالهم :هل يصبرون ويرجعون إلى الله تعالى متضرعين أم يتضجرون ويزيدون في ضلالهم ؟

وقوله تعالى : {واعلموا} تنبيه إلى خطر الأمر الذي سيعلِمهم عنه {أنما أموالكم وأولادكم فتنة} أي يختبركم الله تعالى بها ، فإن فتح الله على إنسان أبواب الخيرات ووسع عليه رزقه وقام بشكر الله تعالى من أداء حق الله في ماله من زكاة وصدقات وفعل للخيرات فإن المال في حقه عندئذ نعمة أنعم الله بها عليه ، وإلا كان في حقه فتنة يُفتن بها إن هو بخل وشح وأنفقه في المعاصي والملاهي ، وكذلك من رزقه الله تعالى الأولاد فقام بتربيتهم تربية إسلامية صالحة وتعهدهم بالصلاة والتعاليم والآداب الشرعية والسنة المحمدية كان الولد في حقه عندئذ نعمة ، وإن هو أهمله وتركه يتخبط في الضلالات و الشهوات المحرمة كان في حقه عندئذ فتنة افتتن بها وخسر ، نسأل الله العافية ، وقد بين ذلك سبحانه بقوله جل وعلا : { إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم } وكما أن الوالد قد يضلِّل ولده أو يهوّده أو ينصّره أو يمجّسه كما بين صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله : [كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ] [1] كذلك فإن الولد قد يكون سبباً في فتنة أبيه وضلاله إن هو تعلم علوم الدنيا وأعجب بنفسه وخالط الكفرة واعتاد عاداتهم وعمل بها واستحسنها فيقوم يسفه أباه ويسخر من لحيته وسبحته وعبادته فيتأثر الأب - ضعيف الإيمان - يتأثر بأفكار ولده وآرائه الضالة ونسأل الله العافية .

وقد أخبر سبحانه عن ذلك في قصة الخضر وموسى عليهما السلام لما قتل الخضر الغلام وبين لموسى الحكمة من قتله له : {وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً} .

---

[1] طرف حديث في صحيح البخاري كتاب الجنائز

وقال صلى الله عليه وسلم :[إِنَّ الْغُلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا ،وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا] [١].

قوله صلى الله عليه وسلم :[وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ] فقد يفتن الإنسان أيضاً في حياته الدنيا وسائر معاملاته إن هو لم يلزم حدود الله تعالى فيها .

وفتنة المحيا أن يفتن الإنسان عند موته - نسأل الله العافية - فليسأل المؤمن ربه أن يحفظه ويقيه ذلك كله، وهناك فتن السؤال في القبر لما يسأل الملَكان الميت في قبره عن إيمانه برسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له بأسلوب الممتحن والمختبر : [ما كنت تقول في هذا الرجل؟][٢] وفي رواية :[وما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟][٣].

فمن كان مؤمناً حقاً ثبته الله تعالى وأمده وأجاب بما تحقق به فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله جاءنا بالبينات و الهدى فأجبناه واتبعناه ، ولا يجيب بهذا الجواب إلا من أجاب دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإيمان واتبعه حقاً ، وفي هذا يقول سبحانه: {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين } أي لأنهم ظالمون جحدوا وعاندوا {ويفعل الله ما يشاء}.

قوله صلى الله عليه وسلم :[اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ] وفي ذلك تعوذ بالله تعالى من أن يقع الإنسان في ذنوب مع الله تعالى أو حقوق مع خلق الله تعالى.

وقوله صلى الله عليه وسلم : [مِن الْمَأْثَمِ] أي الإثم وهي الذنوب ، فليسأل الإنسان ربه أن يحفظه من الذنوب ما ظهر منها وما بطن وما صغر وما كبر.

---

[١] صحيح مسلم كتاب القدر

[٢] طرف حديث في صحيح البخاري كتاب الجنائز وصحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها

[٣] طرف حديث في سنن أبي داود كتاب السنة والمسند ١٧٨٠٣

وقوله صلى الله عليه وسلم : [وَالْمَغْرَمِ] أي الدَّين الثقيل وهو من حقوق العباد، ومَن أخذ أموال الناس قرضاً أو استثماراً لها بطرق مشروعة من تجارة ونحوها ، وقصده أن ينتفع بها وينفع الناس من وراء ذلك لكنه لضائقة أصابته عجز عن أداء حق الناس وهو حريص على أدائها لأصحابها ولا يتهور في أعماله أو يتسبب في ضياع ماله فمثل هذا يؤدي الله عنه يوم القيامة ويرضي سبحانه خصومه ، أما من أخذها مستهتراً بأدائها غير مكترث بها أهانه الله وأتلفه كما بين ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله: [مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّاهَا اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ][1].

فلا يحِلُّ للإنسان أن يتوسع في الدَّين من غير ضرورة لئلا يعجز عن أدائه وهذا ما علمنا صلى الله عليه وسلم أن نستعيذ بالله منه وهو المغرم، نسأل الله تعالى العافية .

ونسأل الله التوفيق ،وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين.

[1] مسند الإمام أحمد ٨٣٧٨

المحاضرة السابعة بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصَّلاة وأكمل التَّسليم على سيّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سبحانكَ لا عِلم لنا إلا ما علَّمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم.

أمَّا بعد:

بالسَّند المُتَّصل إلى الإمام الحافِظ أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيمَ بن المُغيرة بن بَردِزبه الجُعفي البُخاري رضي الله عنه قال :

باب : يستجابُ للعبدِ مَا لمْ يعجلْ

ثم أوردَ بسنده إلى أبي هريرةَ رضيَ الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: [يستجابُ لأحدكمْ ما لمْ يعجلْ ، يقولُ : دعوتُ فلمْ يستجبْ لي] .

بَاب: رَفْعِ الأيدِي فِي الدُّعاءِ

وقالَ أبو موسَى الأشعريُّ رضي الله عنه :

(دعا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم ، ثمَّ رفعَ يديهِ ورأيتُ بياضَ إبطيهِ).

وقالَ ابنُ عمرَ رضي الله عنه :

(رفعَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يديهِ)[1] - أي حينَ دعَا -.اهـ

وفي روايةٍ للحديثِ المتقدّم عندَ الإمام مسلمٍ : [يستجابُ لأحدكم ما لم يعجلْ فيقولُ : قدْ دعوتُ ربّي فَلَمْ يستجبْ لِي][2] .

أما منزلة الدُّعاء في الدّين فهو عبادةٌ لله تعالى ، لقوله تعالى : { وقالَ ربكمُ ادعوني أستجبْ لكمْ إنَّ الَّذينَ يستكبرونَ عنْ عبادتي سيدخلونَ جهنَّم داخرينَ}.

---

[1] انظر صحيح البخاري كتاب الدعوات

[2] انظر صحيح مسلم كتاب الذِّكرِ والدُّعاءِ والتوبة والاستغفار

فقوله تعالى: { ادعوني } أمرٌ للعباد أن يدعُوه ، وامتثالُ أمرِ الله تعالى فيما أمَرَ هو عبادةٌ لله تعالى ، فالذي يدعُو ربَّه إنَّما قامَ بعبادتِه ، أمَّا استجابةُ الله تعالى لعبدِه فيما دعَا فهذا أمرٌ آخرُ يرجعُ إلى علمِ الله تعالى وحكمتهِ وفضلهِ.

ومن عصى أمرَ الله تعالى ولم يدعُ الله جل وعلا فقد استكبرَ عن عبادة الله تعالى ، وهذا قوله تعالى : { إنَّ الَّذينَ يستكبرونَ عنْ عبادتي } - أي عن دُعائي - { سيدخلونَ جهنَّم داخرينَ } أي ذليلينَ.

فالمقصودُ الأوَّلُ منَ الدُّعاءِ أن يعبدَ الإنسانُ ربَّه بدعائِه له.

وقد ذَكَرَ سُبحانَهُ في كتابِه العزيزِ وأخبرَ عنِ الكافرينَ أنَّ قلوبهم قد قست ولم تَعُد تدعُو ربَّها وتتضرعُ إليه حتَّى في الشَّدائدِ والكُرُباتِ ، فقالَ سبحانه على سبيل الإنكارِ والزَّجرِ : { فلولا إذْ جاءهمْ بأْسُنا تضرَّعُوا ولكِنْ قَسَتْ قلوبهمْ وزيَّن لهمُ الشَّيطانُ مَا كانُوا يعملونَ }.

أما شأنُ المؤمنين فهو التَّضرُّعُ إلى الله سبحانهُ وتعالى وسُؤالُه وانكِسارُ القلبِ له.

وإن إجابة الله تعالى لعبدهِ حاصلةٌ لا محالة ، كمَا بيَّن ذلكَ سيّدُنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقوله: [مَا منْ مسلمٍ يدعُو بدعْوةٍ ليسَ فيهَا إثمٌ ولا قطيعةُ رحمٍ ، إلا أعطاهُ اللهُ بها إحدَى ثَلاثٍ : إمَّا أنْ تُعجَّلَ لهُ دعوتُهُ ، وإمَّا أنْ يدَّخرهَا لهُ في الآخرةِ ، وإمَّا أنْ يصرفَ عنْهُ مِن السُّوءِ مثلهَا] - أي مثل ما دعا- [قالوا : إذاً نُكثرُ ، قال : اللهُ أكثرُ][1] .

---

١ مسند الإمام أحمد ١٠٧٠٩

وفي رواية عند الإمام مُسلِم[1] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلم أنَّهُ قالَ : [لا يزالُ يستجابُ للعبدِ مَا لمْ يدعُ بإثمٍ أو قطيعةِ رحِمٍ، ما لم يستعجلْ.

قيلَ : يا رسولَ اللهِ ما الاستعجالُ ؟

قَالَ : يقولُ : قدْ دعوتُ وقدْ دعوتُ ، فلمْ أرَ يستجيبُ لي ، فيستحسرُ[2] عندَ ذلكَ ويدعُ الدُّعاءَ] .

فالإجابةُ إذاً حاصِلة ، لكنْ بما فيه الأصلحُ والأنفعُ للدَّاعي ، وهذا من فضلِ الله تعالى ورحمته بالدَّاعي.

وقد روى الحاكمُ في المستدركِ عنْ جابرِ بنِ عبد الله رضِيَ الله تعالى عنهمَا عن النبيّ صلَى الله عليه وآلِهِ وسلَّم قال : [يدعو الله تعالى بالمؤمنِ يوم القيامة[3] حتى يوقفه بين يديهِ فيقولُ : عبدي إني أمرتُكَ أن تدعُوني ، ووعدتُك أن أستجيبَ لك ، فهل كنتَ تَدْعُونِي ؟

فيقولُ : نعم ربّ.

فيقولُ : أمَا إنَّك لم تدعُني بدعوةٍ إلا اسْتَجَبْتُ لكَ ، فهل دعوتني يومَ كذا وكذا لِغمٍّ نزلَ بكَ أنْ أُفرِّج عنكَ ففرّجتُ عنكَ ؟

فيقولُ : نعم يا ربّ

فيقولُ : إنّي عَجَّلتها لك في الدُّنيا ، ودعوتني يومَ كذا وكذا لِغمٍّ نزلَ بكَ أنْ أفرِّج عنكَ فلم ترَ فرَجاً ؟

قال : نعم يا رب.

فيقول : إنّي ادَّخرتُ لكَ بها في الجنَّة كَذَا وكَذا.

---

١ صحيح مسلم كتاب الذّكرِ والدُّعاءِ والتوبة والاستغفار

٢ أي يملُّ فلا يدعُو الله تَعَالى بعدَ ذلك.

٣ أي يطلبُ عبدَه المؤمِنَ .

قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فلا يدَعُ اللهُ دعوةً دعا بها عبدُه المؤمن إلا بيَّن لهُ : إمَّا أن يكونَ عجّلَ له في الدُّنيا ، وإمَّا أن يكونَ ادّخر لهُ في الآخرةِ.

قال : فيقُولُ المؤمنُ في ذلك المقام : يا ليتهُ لم يكن عجّلَ لهُ في شيءٍ من دُعائِه].

وأمَّا قوله صلى الله عليه وآله وسلم : [وإمَّا أنْ يصرِفَ عنهُ من السُّوء مِثلها] أي من البلاء الذي كانَ سيصيبُ هذا العبد لولا دُعاؤه الذي ردَّ ودفَعَ هذا القضَاء ، وإنْ كانَ الكُلُّ بقضاءِ الله تعالى وقدرهِ .

روى ابنُ حبَّانَ في صحيحهِ والحاكمُ واللَّفظُ لهُ وصحَّحَ إسنادَهُ[1]عن ثوبانَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآلِهِ وسلَّم : [لا يَرُدُّ القَدَرَ إلا الدُّعاء ، ولا يزيدُ في العُمُرِ إلا البرّ ، وإنَّ الرَّجلَ ليُحرمَ الرّزقَ بالذَّنبِ يُصيبهُ] .

فالذَّنْبُ حجابٌ يحجب وصولَ الرّزقِ إلى المُذنِب .

وأمَّا ما تراهُ من تسهيلِ أمورِ الدُّنيا عَلى الفُسَّاقِ والعصاةِ فهذا من بابِ المكر والاستدراج ، لا من باب الرّزقِ الإلهي النَّافع لهم ، كما دلَّت على ذلك الأحاديثُ النَّبويَّة.

وقد قال الله تعالى في الكفار : {سنستدرجهمْ منْ حيثُ لا يعلمونَ * وأملِي لهُم } - أي وأُعطِيهم أموالَ الدُّنيا لا إكراماً لهم بل كيداً بهم - { إنَّ كيدِي متينٌ } .

وقال الله تعالى : { ولا يحسبنَّ الَّذينَ كفروا أنَّما نُملي لهُم خيرٌ لأنفسهمْ إنَّما نُملِي لهُم ليزدادوا إثماً ولهمْ عذابٌ مهينٌ}.

---

١ أخرجهُ ابنُ حبان في كتابِ الرَّقائقِ والحاكم في كتابِ المناسك .

روى ابنُ ماجه[1] عن جابرِ بن عبدِ اللهِ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : [أيُّها النَّاسُ ! اتقوا اللهَ وأجملوا في الطَّلبِ ، فإنَّ نفساً لنْ تموتَ حتى تستوفيَ رزقهَا ، وإن أبطأَ عنهَا ، فاتَّقوا اللهَ وأجمِلوا في الطلبِ ، خُذُوا ما حَلَّ ودعوا مَا حرُمَ] .

وروى الطَّبرانيّ في الكبيرِ وأبو نعيمٍ في الحليةِ عن أبي أُمامةَ رضيَ الله عنهُ عن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم قالَ : [إنَّ روحَ القُدسِ نفثَ في روعِي : أنَّ نفساً لن تَمُوتَ حتَّى تستكمِل أجلها وتستوعب رزقها ، فاتّقُوا الله وأجملوا في الطَّلبِ ، ولا يحملنَّ أحدكم استبطاءُ الرزق على أن يطلبهُ بمعصيةِ الله تعالى ، فإنَّ الله لا يُنالُ ما عِندَهُ] - أي منَ الرّزقِ النَّافعِ الطَّيِّبِ - [إلا بطاعتِه] [2].

فليعلمِ الإنسانُ أنَّ ما جاءَ من الرّزقِ عن غيرِ طاعةِ الله تعالى فهُوَ مَكرٌ بهِ واستدراجٌ لهُ ، نسألُ الله العافيةَ.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: [لا يردُّ القدَر إلا الدُّعاء] هذا لأنَّ الدُّعاء هو سَبَبٌ من جملةِ الأسبابِ التي خلقها الله تعالى ، وأَمَرَ الإنسانَ أن يأخذَ بها لتستمرَّ حياتُه ويصِلَ إلى مقصودِه.

وقد ربطَ سبحانه المُقدَّراتِ والحوادث بأسبابٍ معينةٍ لا بُدَّ منهَا لحصُولِ المقصُودِ وإن كَانَ الكلُّ بقضاءِ الله تعالى وقدرِه.

فكما يجوعُ الإنسانُ بقضاءِ الله وقدرِه ، فإنَّه يدفعُ عنهُ الجُوعَ بالطَّعامِ فيأكل بقضاء الله وقدرِه ، ويشبعُ بقضاءِ الله وقدرِه ، وبذلك يكونُ الإنسانُ قد دفعَ عنه قدَرَ الجوعِ بأن تعاطى سببَ دفعِ ذلكَ وهو الأكلُ ، وهو بقدَر الله تعالى أيضاً ، ولو شاء الله لما أشبعه وإن أكلَ.

---

١ سنن ابن ماجه كتابِ التجاراتِ

٢ عزاه في الكنز لأبي نعيم في الحلية ورواه الطبراني في الكبير وأصله في سنن ابن ماجه في كتاب التجارات

وهكذا لو شاءَ الله تعالى لمَا أروى فُلاناً وإن شَرِب ، ولما رزقَ فُلاناً الولدَ وإن تزوَّجَ ، ولما شَفى فلاناً وإن تَعاطى الدَّوَاء ، وهكذا لأنَّ الله تعالى قد خلقَ الأسبابَ وجعلها خُدَّاماً بينَ يَديهِ تعملُ بأمرِه وليس لها تأثيرٌ مِن ذاتها ، فإن شاءَ سبحانه أعملها لِما خلقها له وإن شاءَ أهملها.

ولا بُد إذاً من تعاطِي الأسبابِ ، لأنَّ الله تعالى قد شرعهَا وأمرَ بالأخذِ بها ، فالمؤمنُ الذي عملَ الصَّالحاتِ يدخلُه الله تعالى الجنَّةَ بسببِ إيمانه وعملهِ الصَّالح، كما قال الله تعالى : {ادخلوا الجنَّةَ بمَا كنتمْ تعملونَ[1]} ، والكافرُ يدخلُ النارَ بسببِ كفرهِ و فسادِ عملِه.

وبسببِ ألفاظٍ معيَّنة ينطقُ بها الإنسانُ بوجودِ شاهدين يسمعانِ تصيرُ المرأةُ زوجتَه وتحلُّ له بعدَ أن كانت حراماً عليهِ.

وتحرُم عليه أيضاً بسببِ ألفاظِ الطَّلاق إنْ هو تلفَّظ بها.

وَبسَببِ أعمالِ البرّ وصلةِ الرَّحمِ يطيلُ الله تعالى عمرَ الإنسانِ وإنْ كانَ عمره مقدَّراً محدوداً ، إلا أنَّه سعى في البِر وصلةِ الرَّحمِ التي هي أيضاً بقدر الله تعالى وسعى بإطالة عُمره ، وكذا الرّزق والشَّفاعة والسَّعادة وإجابة الدُّعاء ودفع القضاء ، والكلُّ بقضاء الله تعالى وقدره.

---

١ ولا يتنافى هذا مع قوله صلى الله عليه وسلم: [لن ينجي أحداً منكم عملُهُ، قالوا : ولا أنتَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : ولا أنَا، إلا أن يتغمَّدنِي اللهُ برحمَةٍ] - أخرجه البُخاريُّ في صحيحه في كتابِ الرِّقاقِ - إذ إنَّه سبحانهُ لا يتفضَّلُ إلا على من كان أهلاً ومستعداً لِفضلِ الله تعالى ، ولا ينالُ الإنسانُ ذلكَ إلا بالإيمان وطاعةِ الله تعالى فيصير أهلاً لأن يتفضَّلَ الله تعالى عليهِ ويدخله الجنَّةَ ، وليسَ عملُ الإنسانِ موجباً على الله تعالى أن يُدخلهُ الجنَّة بل أوجبَ سبحانهُ على نفسهِ فضلاً منهُ وكرماً أن يُدخلَ الجنَّة من آمنَ بهِ وعبَدهُ .

ولو لم يحصُلِ الإنسانُ من دُعائِه على ما رجاهُ فقد حصلَ على عبادة الله تعالى لا محَالة ، لأنَّ الذُّل وانكِسارَ القلبِ لله تعالى ورفعَ اليدين إلى الله تعالى إنَّما هي عِبادةٌ لله تعالى لها شأنُها واعتبارُهَا عندَ الله تَعَالى ، وَقَد قالَ بعضُهم رضيَ الله عنه : (لأن أُحرَمَ الدعاءَ أشدُّ علي من أن أُحرَمَ الإجابة)[1] أي لِمَا يجدُ في دعائِه من لذَّة نَعيم مُناجاةِ الله تعالى.

فمن دعا الله تعالى وسأله فقد عبدَ الله تعالى ، وقامَ بحقِّ الله تعالى عليه مُمتثلاً أمره سبحانه ، وأمَّا إجابة الله تعالى لعبده فيما سأله ورجاه فهذا مقصود العبدِ ، وإنَّ القيام بحقّ الله تعالى أكبرُ وأعظمُ من حُصولِ العبدِ على مرادِهِ.

وقد أخبرَ سبحانَه في القرآنِ الكريمِ عن جميعِ رسلِهِ وأنبيائِه والمقرَّبينَ من عباده أنَّهم سألوا الله تعالى وَدَعَوهُ ، لِما في الدعاء من عُبوديَّة لله تعالى يشعرُ بها الدَّاعي على حسبِ إيمانِه.

وأمَّا حصولُ الإجابةِ فحاصلٌ لا محالة ، لكن يرجعُ إلى علم الله تعالى بما هو الأصلحُ والأنفعُ لهذا الدَّاعي ، فقد يدعوه في أمر دنيوي ويلحّ فيهِ ، لكنَّه سبحانه يعلمُ أنَّ فتناً وشُبُهَات ستعرضُ على هذا الدَّاعي ، وقد يزلُّ ويزيغُ إيمانُه بسَبَبِها ، فأخَّر له إجابةَ دعائه لأمرٍ دنيوي ،لكنْ أجابه بأن حفظه من تلك الفتنِ لئلا يزيغَ ويهلكَ.

[1] قال الإمام القشيري في الرسالة القشيرية : (وقد قال أبو حازم الأعرج: لئن أحرم الدعاء أشدُّ علي من أن أحرم الإجابة).

وفي الحديثِ الذي رواهُ الترمذيُّ[1]عن ابن عمرَ رضي الله عنهما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : [مَنْ فُتِحَ لَهُ مِنْكُمْ بَابُ الدُّعَاءِ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَمَا سُئِلَ اللَّهُ شَيْئًا يَعْنِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ الْعَافِيَةَ].

وقال صلى الله عليه وسلم : [إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ][2] أي لولا أنَّه سبحانه أراد الخير بكَ والرَّحمة لكَ لمَا ألهَمك الدُّعاء ولما وفَّقك لهُ.

وإنَّ إعراضَ الإنسانِ عن الدُّعاء وتركه له علامة على قساوةِ قلبهِ و شدَّة حجابِه فتراه إذا ألمَّت به مصيبةٌ أو نزلت به شِدّةٌ اضطربَ وضجرَ وعانى وضاقت عليه نفسه ومع ذلك كلّهِ لا يلجأُ إلى ربّه ويدعوهُ ويسألهُ أن يكشفَ ما نزلَ به ! وهذه مصيبةٌ فوق مصيبةٍ . نسأل الله العافية .

ولذلكَ حريٌّ بكل مؤمنٍ أن يدعو لنفسه ولوالديه وأولاده وزوجه وإخوانه من المؤمنين كلّهم ، وخاصَّةً أولئكَ الذين وقعوا في الشَّدائد ولكنَّ قسوة قلوبهم حالت بينهم وبينَ الدُّعاءِ.

كمَا ينبغي على المؤمِنِ أن يدعُو ربَّه في جميعِ حالاتِه أي في حالِ النِّعمة وحالِ النقمةِ ، وحال الكَرب وحال الفرَجِ ، وحالِ الصحَّة وحال المرضِ ، وحَال العُسرِ وحال اليسرِ،ومَن أكثرَ الدُّعاءَ والسُّؤالَ حالةَ الرَّخاءِ فإنَّ الله تعالى يرحمُه وينقذُه حالَ الشّدَّة وإنْ قصَّر في الدُّعاء.

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم :[تعرَّفْ إلى الله في الرَّخاءِ يعرفكَ في الشّدَّة][3].

---

١ سنن الترمذي كتاب الدَّعواتِ

٢ سنن الترمذي كتاب الدَّعواتِ

٣ رواهُ الإمامُ أحمدُ في مسنده عَن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُما ولفظهُ قالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: [يَا غُلَامُ أَوْ يَا غُلَيمُ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: احْفَظ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، =

وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يحبُّ الملحّينَ في الدُّعاءِ[1]، وذلكَ لأنَّهم التزموا مقامَ العبوديَّة له وعكفوا على بابهِ متضرِّعينَ منكسرينَ سائلينَ راجينَ.

وإنَّ للمؤمنِ أسوة حسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعليه أن يقتدي بهِ صلى الله عليه وسلم ويهتديَ بهديِه.

ومن ذلكَ : ما وردَ أنَّه صلى الله عليه وسلم كانَ يسألُ الله تعالى ويدعوه في سائرِ أحيانِه وأحوالِه ، ويُعلّم الصَّحابةَ رضي الله عنهم دعوات معينةً.

ويعجزُ الإنسانُ عن الإحاطة بجميع أذكارهِ وأدعيته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، لكن عليه أن يبذل جهده في العملِ بها ما استطاع لأنها أدعيةٌ محمديَّةٌ صدرتْ مِن أعلمِ خلقِ الله بالله جل وعلا ، وأقربِ خلقِ الله إلى الله، وسيّدِ المُتوكلينَ على الله ، وإمام الأنبياءِ والمرسلينَ صلى الله عليه وآله وسلم.

= احْفَظ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ ،وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا].

وفي روايةِ مسندِ عبد بن حميدٍ: [تعرَّفْ إلى الله في الرَّخاءِ يعرفكَ في الشّدَّةِ].

١ فقد روى الطَّبرانيُّ والبيهقيُّ وغيرهمَا بسندِ الثّقَاتِ عن السيدة عائشةَ رضي الله عنها مرفوعاً : [إنَّ الله تعالى يحبُّ الملحّينَ في الدعاء]

انظر فيض القدير : ٢٩٢/٢ .

ولمَّا سأل سيدنا أبو بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سيدنا رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعلِّمه دُعَاءً يدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِه قَالَ صلى الله عليه وسلم: [قُلْ:اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ][1].

وكذا تعليمه صلى الله عليه وسلم لسيدنا عليّ رضي الله عنه أن يقول:

[اللَّهُمَّ اهدِنِي و سدّدنِي] [2] .

وجاء في سُننِ التّرمذيّ[3] عن سيدنا عمرَ بن الخطَّابِ رضي الله تعالى عنه قَالَ : عَلَّمني رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال : [قُلْ : اللَّهمَّ اجعلْ سريرتي خيراً من علانيتي ، واجعلْ علانيتي صالحةً، اللَّهمَّ إنِّي أسألك من صالحِ ما تُؤتي الناسَ من المالِ والأهلِ والولدِ ، غيْرِ الضَّالّ ولا المُضلّ] .

إذا عرفت هذا كلَّه فلا يحملنَّكَ جَهلُك على أن تدَّعي أنَّكَ من أهلِ التَّوكُّل والتَّسليمِ ولا حاجةَ لك إلى الدُّعاء ، فإنَّ سيدَ المتوكلينَ وإمام خلقِ الله تعالى أجمعينَ قد سألَ ودعَا الله تعالى ، وكذا صحابته الذين اصطفاهم الله تعالى من بينِ خلقِه ليكونوا أصحاباً لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأنصاراً لشريعتِه ،وإن خير الهدي هديُ سيدِنا محمَّد صلَّى الله عليه وآلِهِ وسَلَّم.

ونسألُ الله تعالى أن يجعلَنا مِمَّن سألُوه فأعطاهُم ودعوه فأجابهم .

ونسأل الله التوفيق ، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبِه أجمعين ،والحمد لله رب العالمين.

١صحيح البُخاريّ كتاب الدَّعواتِ

٢طرف حديث في صحيح مسلم كتاب الذِّكر والدُّعاء والتوبة والاستغفار

٣ في كتاب الدَّعواتِ

المحاضرة الثامنة بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصَّلاة وأكمل التَّسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانكَ لا عِلم لنا إلا ما علَّمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم.

أمَّا بعد: بالسَّند المُتَّصل إلى الإمام الحافِظ أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيمَ بن المُغيرة بن بَردِزبه الجُعفي البُخاري رضي الله عنه قال :

باب دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه بطول العمر وبكثرة ماله

ثمَّ أورد بسنده إلى أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالتْ أُمِّي : يا رسولَ اللهِ خادمكَ أنسٌ ، ادعُ اللهَ لهُ.

قالَ : [اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ][1].اهـ

وقد كانَ البخاريُّ رضيَ الله عنه حريصاً على أن يذكرَ في تراجِمه للأحاديثِ جُملةً من الأحاديث الشريفة، ثم يأتي على ذكرِ الحديثِ المناسبِ لترجمتِه.

وقد أشارَ في ترجمته لهذا الحديثِ المُتقدِّم أشارَ إلى روايةٍ ذكرها في كتابه (الأدب المفرد)[2] وهي : أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا لأنسٍ رضيَ اللهُ عنه بقولِه: [اللهم أكثر ماله وولده ، وأَطِل حياته ، واغفر له] .

وكتابُ الأدبِ المفرَد كتابٌ جمعَ فيه البخاريُّ رضيَ الله عنه أحاديثَ لم يلتزم فيها شروطَ الصّحَّة التي التزمها في جمعه لكتابه الصحيح.

فقد يذكرُ البخاري رضي الله عنه في ترجمته للحديث جُملةً من حديث لم يستوف شرطه وإنما جاء على شرط آخر عند المحدثين.

---

[1] صحيح البخاري كتاب الدعوات

[2] باب من دعا بطول العمر ، وتمامُ الحديث قوله رضي الله عنه :(فدعا لي بثلاث ، فدفنت مائة وثلاثة ، وإن ثمرتي لتطعم في السنة مرتين ، وطالت حياتي حتى استحييت من الناس ، وأرجو المغفرة).

وفي رواية للحديث عند مسلم عن أنسٍ رضي اللهُ عنهُ قالَ:

[قَالَتْ أُمِّي: يَا رَسُولَ اللَّهِ خُوَيْدِمُكَ ادْعُ اللَّهَ لَهُ]- فعرضته على رسول الله صلى الله عليه وسلم خادماً فقبِله رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له -[قَالَ: فَدَعَا لِي بِكُلِّ خَيْرٍ ،وَكَانَ فِي آخِرِ مَا دَعَا لِي بِهِ أَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ][1].

وفي الحديثِ دليلٌ على استحبابِ أنْ يسألَ الإنسانُ البركةَ والكثرَة في مالهِ وولدهِ وإطالة عُمُره ، وذلكَ حتى يزيدَ من طاعاتِه وعباداتِه لله تعالى ، وأن يتوسَّعَ في أعمالِ البرِّ والخيرِ والصَّدقةِ والنَّفقةِ في سبيل الله تعالى.

ولو لم يكُنْ لهذا الدعاء خير عظيم لمَا دعَا لأنس رضيَ الله عنه بذلكَ ، إذ إنَّ أنساً خادمُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ومحبوبٌ عنده ، وأرادَ صلى الله عليه وسلم أن يتحِفَه ويُكرمَه فدعا له بذلكَ.

وإذا وسَّع الله تعالى على عبدٍ فإنَّ أوَّلَ ما يجبُ عليه فعله أنْ يوسّع على أهلِه وولدِه وعيالِه ، ثم يلتفت إلى الأرحامِ والأقاربِ وهكذا دون إسرافٍ وبطرٍ.

وبسبب دعوة النبيّ صلى الله عليه وسلم لأنس رضي الله عنه جعل بستانُه يُثمِرُ مرَّتين في السَّنة ، وانتشرت الزُّهور والرياحين في بستانه [2]، ومِن أثر دعوةِ النبي صلى الله عليه وسلم أكرمَهُ الله تعالى بأنواع من الإكرام ، ومنها: أنَّ مطر السماءِ كان أحياناً يمطر بستانه فقط.

وقد وردَ أنَّ خادم أنس رضي الله عنه الذي كان يقوم بالعنايةِ ببستانِه جاءه يوماً - وذلك بعد وفاة النبيِّ صلى الله عليه وسلم - وشكا له أنَّ شجر البستان بحاجة إلى سُقيا ، فقام أنسٌ رضي الله عنه فتوضَّأ وصلَّى ركعتين ودعا الله تعالى ، فإذا بسحابةٍ أظلت البستان وأمطرَت ، فقال أنسٌ رضي الله عنه لبعض أهلِه : انظروا هل المطر عامٌّ جاوزَ البستانَ أم خاصٌّ به ؟

---

[1] صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة

[2] جاء في سنن الترمذي كتاب المناقب أنه رضي الله عنه كَانَ لَهُ بُسْتَانٌ يَحْمِلُ فِي السَّنَةِ الْفَاكِهَةَ مَرَّتَيْنِ وَكَانَ فِيهَا رَيْحَانٌ كَانَ يَجِيءُ مِنْهُ رِيحُ الْمِسْكِ.

فقيل له : إنَّه لم يجاوز البستانَ ولا مقدارَ شعرةٍ[1].

ولقد أكثرَ الله تعالى مالَ أنسٍ رضي الله عنه وأكثر ولده ، فقد تزوج ما أحلَّ الله تعالى له من النِّساءِ ، حتى دُفنَ في حياتِه مائةٌ وخمسة وعشرونَ من أولاده[2] ، وأطال الله تعالى عمره حتى عمِّر مائةً وسبعَ سنين[3] ، وهو في كمال عقله ومداركه وقوته رضي الله تعالى عنه.

ولا يظنَّن جاهلٌ أنَّ الدعاءَ بكثرةِ المالِ والولدِ هو دعاءٌ بأمرٍ دنيوي يشغلُ عن الله تعالى ، فإنَّ المالَ لا يشغلُ صاحبه عن الله تعالى إلا إذا انهمكَ في تحصيلهِ وبخل في إنفاقه في وجوه البر والخير.

وقد جعلَ الله تعالى المالَ قوامَ الحياة ، كما قال سبحانه وتعالى : { ولا تؤتوا السُّفهاءَ أموالكمُ الَّتي جعلَ اللهُ لكمْ قياماً } أي قوام حياتكم ومعاشكم.

والسَّفيهُ والأحمقُ بمعنى واحد ، ويطلقُ على ناقصِ العقل الَّذي لا يحسنُ التصرفَ بالمالِ.

وقوله تعالى : {ولا تُؤتُوا السُّفهاءَ أموالكمُ} يشملُ الأولادَ والزَّوجاتِ - إن كنَّ مسرفاتٍ لا يحسنَّ التَّصرفَ بالمالِ - وكذا الأبناء وإن بلغ أحدهم ولكنَّ عقله وفكره لم يكتمل في نضوجِه بعد فهو طائشٌ في تصرُّفاته فيسرفُ في الإنفاقِ ويهدرُ مالَ أبيهِ.

---

[1] انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٦٤/٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ٢١/٧

[2] نقل الحافظ القسطلاني في شرحه على المواهب ما رواه الطبراني عن أنس رضي الله عنه أنه قال : [فلقد دفنت من صُلبي سوى ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين]وهو في صحيح البخاري كتاب الصوم بلفظ قريب

[3] انظر الإصابة في تاريخ الصحابة ٢٧٧/١

فيجب على الرَّجل العاقلِ أن لا يتنازلَ عن أمواله كلّها لأولادهِ حتى لا يمنعوه بعدَ ذلك ويصيرَ أسيرَ عطائِهم ، وتتوالى عليه الحسراتُ في وقتٍ لم تعُد تنفعُه النَّدامةُ ، وإن هو أعطى أولاده شيئاً من ماله ليكونَ لهم عوناً في عملِ الدُّنيا وتركَ باقي ماله في ملكيَّته ليرثه أولاده من بعدِه لكانَ ذلك خيراً له ، لأنَّه بذلكَ يكون متبعاً لشرعِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الذي بيَّن الحقوقَ والمواريثَ.

ولقد دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لخادمه أنسٍ رضي الله عنه بكثرة المالِ والولدِ ، وذلكَ حتى يستعينَ بمالِه على طاعةِ الله تعالى ويتوسع في عملِ الخيراتِ والصَّدقاتِ ، وقد جاء في الحديث الذي رواه مسلمٌ وغيره عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم:

[مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ]- أي حتى ينميها ويربيها - [وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً ، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِن الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ][1] .

كما أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا له بكثرةِ الولدِ لأنَّ الإنسانَ المؤمنَ إذا كثُر أولاده وهم مؤمنونَ متَّقونَ ، فإنَّ ثوابَ أعمالهم يُكتبُ في صحيفتِه ، و كذلك ذريَّته من بعدِه ، لأنَّه كان سبباً في وجودهم وتربيتهم على حبِّ الله تعالى وحبِّ رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم ، كما يكونون عوناً له على أمور الدُّنيا.

وأما إذا فسقَ الأولادُ وضلُّوا بعدَ ذلكَ فلا يحمل والدُهم شيئاً من أوزارهم لقوله تعالى: {ولا تزرُ وازرةٌ وزرَ أُخرى} أي: ولا تحمل نفسٌ ذنوبَ نفسٍ أُخرى ، وقال تعالى : { وإن تدعُ مثقلةٌ } - أي نفس مثقلة بالذنوب - { إلى حملها لا يحمل منهُ شيءٌ ولو كان ذا قربى }.

[1] صحيح مسلم وسنن النسائي وسنن ابن ماجه كلهم في كتاب الزكاة

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ] [1] الحديث.

وجاء في الحديثِ الذي رواه الترمذي عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه وفيه أن النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ : [إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ][2].

ومن تسبَّب في خيرٍ ناله من ذلك الخيرِ ، ومن تسبَّبَ في شرٍ ناله من ذلك الشرِّ ، فلو اعتادَ الرجلُ في بيته على الصَّلاةِ وحرص على صلاة الجماعة مع أولاده مثلاً لكانَ فعله هذا تعليماً لأولاده على التزام الصَّلاة ، ولو اعتادَ الكلام الطَّيِّب لتبعهُ أولادُه ، وهكذا لو أسفرتِ المرأةُ في خروجها لأسفرتْ بناتها ، فكلٌّ من الأب والأم يؤثّر على أولاده بالحالِ والقالِ والعملِ، وقد قال الله تعالى : { إنا نحنُ نحيي الموتى ونكتبُ ما قدَّموا وآثارهمْ } أي آثار أعمالهم وأقوالهم وأحوالهم التي أثَّرت في غيرهم، إنْ خيراً فخير ، وإنْ شراً فشرٌّ ، وكلُّ ذلكَ يكتبُ في صحيفةِ الإنسانِ.

روى البخاري وغيره عن عبد الله بن عمَر رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ : [كلكمْ راعٍ ، وكلكمْ مسؤولٌ عن رعيَّتهِ ، الإمامُ راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته ، والرَّجلُ راعٍ في أهله وهو مسؤولٌ عن رعيَّتهِ ، والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجها ومسؤولةٌ عن رعيَّتها ، والخادمُ راعٍ في مالِ سيّده ومسؤولٌ عن رعيَّته ، وكلكمْ راعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّتهِ][3].

---

١ طرف حديث في صحيح مسلم كتاب الزكاة

٢ سنن الترمذي كتاب العلم

٣ صحيح البخاري كتاب الجمعة واللفظ له وصحيح مسلم كتاب الإمارة وسنن الترمذي كتاب الجهاد

وقد دعا سيدنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لخادمه أنسٍ رضي الله عنه أيضاً بطول حياته بقوله: [وأطِل حياته] وبهذا استدلَّ الإمام البخاريُّ رضي الله عنه على استحبابِ أن يسألَ المؤمنُ ربَّه طولَ العمر، وذلك لأنَّ فيه زيادةً في الخيرِ ، كما جاءَ في الحديث عنه صلَّى الله عليه وسلم: [وَاجْعَل الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ][1].

وروى الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ:[مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ][2].

وروى الإمام أحمد في مسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

[أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِكُمْ؟

قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: خِيَارُكُمْ أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا وَأَحْسَنُكُمْ أَعْمَالاً][3].

وقد سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له :

[يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟

قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ.

---

١ روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:

[كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَل الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَل الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ].

٢ سنن الترمذي كتاب الزهد

٣ ٦٩١٤

قَالَ- أي السَّائِل -: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ ؟

قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ][1].

وروى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:

[كَانَ رَجُلَانِ مِنْ بلِيٍّ مِنْ قُضَاعَةَ أَسْلَمَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتُشْهِدَ أَحَدُهُمَا وَأُخِّرَ الْآخَرُ سَنَةً .

قَالَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ: فَأُرِيتُ الْجَنَّةَ، فَرَأَيْتُ فِيهَا الْمُؤَخَّرَ مِنْهُمَا أُدْخِلَ قَبْلَ الشَّهِيدِ فَعَجِبْتُ لِذَلِكَ، فَأَصْبَحْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ أَوْ كَذَا وَكَذَا رَكْعَةً صَلَاةَ السّنة][2].

أي فبأعماله وعباداتِه تلكَ رفع الله تعالى مقامه وسبق صاحبه إلى الجنَّةِ ، وما كانَ ذلكَ له لو لم يكن قد عاشَ أكثر منه.

فطول العمرِ للمؤمنِ زيادةٌ له في الخيراتِ ورفعةٌ له في الدَّرجات.

ولقد مرّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بقبر رجلٍ مؤمنٍ فقال :

[مَن صاحب هذا القبر ؟

فقالوا : فلان.

فقال صلى الله عليه وسلم: ركعتانِ أحبُّ إلى هذا من بقيَّة دنياكم][3]

أي لما رأى ذلك المتوفى من عظيم الأجر والثَّواب والنَّعيمِ المترتّبِ على فعل الخيراتِ والطَّاعاتِ .

---

[1] انظر سنن الترمذي كتاب الزهد

[2] المسند ٨٠٤٩

[3] انظر المعجم الأوسط للطبراني

فلا تضيّع أيُّها العاقل ولو ساعةً من عمرك فيما لا فائدة لكَ منه ، واغتنم أوقات عمرك بطاعة الله تعالى والإكثار من ذِكره سبحانه وتعالى، ولا يشغلنَّك حطامُ الدُّنيا وأموالها عن القيام بحقِّ الله تعالى عليك وطاعتك له سبحانه ، فإنَّ الموتَ إذا جاءك تركت كلَّ شيء من أموالِ الدُّنيا وزينتها ورحلت إلى عالمٍ آخر ، واعلم أنَّ الأشياءَ كلَّها تتساوى في نظر الإنسانِ إن هوَ سيتركها كلّها ، فيتساوى الذَّهبُ والفضَّةُ مع الحذاءِ والمكنسة عند ذلك الذي حضره الموت ، ولو كان لشيء من الدُّنيا نفع له بعد موته لاصطحبه معه ، والحالُ أنَّه يرحلُ عن الدُّنيا ولا شيء معه منها سوى عمله الذي قدَّمه وهو في الدُّنيا والذي سيجده ويجد آثاره بعد موته ، فلا تتعِبْ نفسك في تحصيلِ ما ستتركه، بل في تحصيلِ ما سيبقى معكَ وهذا شأنُ العاقلِ .

ونسألُ الله تعالى أن يُوفقّنا لطاعته واتّباع رسوله صلى الله عليه وسلم على أكملِ الوجوه ، ونسأل الله التوفيق ، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً والحمد لله رب العالمين .

المحاضرة التاسعة بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصَّلاة وأكمل التَّسليم على سيّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سبحانكَ لا عِلم لنا إلا ما علَّمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم.

أمَّا بعد: بالسَّند المُتَّصل إلى الإمام الحافِظ أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيمَ بن المُغيرة بن بَردِزبه الجُعفي البُخاري رضي الله عنه قال : باب فضل التسبيح

ثم أورد بسنده إلى أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ : [من قالَ : " سُبحانَ اللهِ وبحمدهِ " في يومٍ مائةَ مرَّةٍ حطَّت خطاياهُ وإن كانتْ مثلَ زبدِ البحرِ].

وعنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

[كلمتانِ خفيفتانِ على اللسانِ ، ثقيلتانِ في الميزانِ ، حبيبتانِ إلى الرَّحمنِ: سبحانَ اللهِ العظيمِ ، سبحانَ اللهِ وبحمدهِ][1].اهـ

التَّسبيح : مصدر من فعل "سبَّح" ، وتسبيحك لله هو تنزيهك ، بأن تقول: "سبحان الله" ، يعني تنزِّه الله تعالى عمَّا لا يليق به جل وعلا تنزيهاً مطلقاً لائقاً بجلاله سبحانه ، والتَّحميد : إثبات المحاسن والكمالات المطلقة لله تعالى على وجه لا يتناهى، وقد قُرنَ بين التَّسبيح والتَّحميد في كثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، قال تعالى : { وإن من شيءٍ إلا يُسبّح بحمدهِ} الآية ، وفي الحديث المتقدم: [سبحان الله وبحمده].

أمَّا معنى قول العبد : [سبحان الله وبحمده] فهو : أُنزّه الله تعالى تنزيهاً لائقاً به ارتضاه لنفسه سبحانه ، لا التَّنزيه الذي يتصوَّره الإنسان ، لأنَّه تنزيه محدود مُقيَّد بفهم الإنسان وعِلمه ، أما التَّنزيه اللائق به سبحانه فهو تنزيهه عمَّا لا يليق به ، وهو التَّنزيه الذي نزَّه به نفسَه سبحانه وتعالى.

---

[1] انظر صحيح البخاري كتاب الدعوات

فالعبد يسبِّح الله تعالى ويتقرَّب إليه بالتَّسبيح الذي ارتضاه الله تعالى لنفسه ، وعلَّمه لمخلوقاته على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام ، وهذا معنى: [سبحان الله وبحمده] أي أحمده بحمده اللائق به الذي ارتضاه هو لنفسه جل وعلا ، ومَن لاحظ أنَّه يتقرَّب إلى الله تعالى بتسبيح سبَّح به الله نفسه ، وتحميد حمِد اللهُ به نفسَه ، فقد اتَّصف بصفة أهل الكمال والمعرفة بالله تعالى ، وهو التسبيح والتَّحميد اللائِق به سبحانه.

وقد سبَّح الله نفسه ، وحمد نفسه ، وأخبر عن ذلك في كثير من الآيات القرآنية ، كقوله تعالى: { فسُبحانَ اللهِ حينَ تمسونَ وحينَ تصبحونَ* ولهُ الحمدُ في السَّمواتِ والأرضِ وعشياً وحين تظهرونَ }.

وفي رواية عند مسلم للحديث المُتقدم :[من قالَ حينَ يصبحُ وحين يُمسي: "سُبحانَ اللهِ وبحمدهِ "مائة مرَّةٍ ، لم يأتِ أحدٌ يوم القيامةِ بأفضلَ ممَّا جاءَ بهِ ، إلا أحدٌ قال مثلَ ما قالَ أو زادَ عليهِ][1].

والمُراد من قوله صلى الله عليه وسلم: [حين يصبحُ] أي بعد صلاة الصبح، [وحين يمسِي] أي بعد صلاة المغرب ، وذلك حتى يدخل الإنسان نهاره على التَّسبيح ، ويدخل ليله على التَّسبيح ، فيكون بذلك قد دخل ليله ونهاره بصدق وخرج بصدق ، ولا يضِقْ فكرك وقلبك عن قبول فهم ذلك فإنَّ الآية: { وقلْ ربِّ أدخلني مدخل صدقٍ وأخرجني مخرجَ صدقٍ واجعل لي من لدنكَ سلطاناً نصيراً} وإن نزلت في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة المكرَّمة إلى المدينة المنوَّرة على ساكنها الصَّلاة والسَّلام [2]، لكنَّ حكمها عامٌ ، كما قالوا : [خصوص السَّبب لا يمنع عموم النَّص][3] .

---

[1] صحيح مسلم كتاب الذِّكر والدعاء والتوبة والاستغفار

[2] روى الترمذي في سننه عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ:
[كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ { وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا }.

[3] انظر كتاب الأشباه والنظائر للإمام السبكي ١٣٦/٢ وكتاب المحصول للإمام الرازي ١٢٥/٣ وكتاب بدائع الصنائع للكاساني ١٧٥/٢ وكتاب الذخيرة للقرافي ٤٩/٩ والمغني لابن قدامة ١٢١/٣

فقوله تعالى: { وقلْ ربّ أدخلني مدخلَ صدقٍ } - أي في كلّ مدخل سأدخله من عمل أباشِره أو قول أبدؤه أو زمن أستقبله - { وأخرجني مخرجَ صدقٍ} بأن يكون دخولي وخروجي في ذلك كلّه بصدق وإيمان وهكذا ، لأنَّ الإنسان قد يدخل في الشَّيء بصدق وإيمان ، ولكنَّه يخرج لا عن صدق وإيمان ، فَسَلِ الله تعالى أن يدخلك أول النهار بصدق وإيمان في أقوالك وأفعالك ، وتستمر على ذلك حتى تخرج من النَّهار بصدق وإيمان ، وتدخل أول الليل بصدق وإيمان محافظاً على ذلك إلى الفجر وهكذا...

قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتقدم: [حُطَّت خطاياهُ وإنْ كانتْ مثلَ زبدِ البحرِ] أي غفر الله له ذنوبه الصَّغائر ، لأن الكبائر لا بد لها من توبة نصوح بشروطها المعروفة.

وقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم كان يقول : [الصَّلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ ، ورمضانُ إلى رمضانَ، مكفِّرات ما بينهنَّ ما اجتنبت الكبائرُ][1] أي فلا بدَّ للكبائر من توبة خاصة بها .

ومن جلس يسبّح الله تعالى وعزم بذلك على التَّوبة من الكبائِر التي اقترفها، وندم قلبه على فعلها ، وعزم أن لا يعود إلى فعلها فإنَّ الله تعالى يكفّر عنه عندئذٍ الكبائر والصَّغائر ، وإذا كان ذنْبه يتعلَّق بحقوق العِباد سواء المالية أو الأدبية فعليه أن يُرجع الحقَّ إلى أهله أو يسألهم العفو والصَّفح وأن يكون منهم في حلّ ، وذلك حتى يقبل الله توبته ويغفر له.

ومن لم يستطع هذا ولا ذاك فأمره موقوف على الآخرة ، وعلى قدر صدق توبته يرضي الله تعالى خصومه في الآخرة ليعفوا عنه.

وإنَّ أصل الإيمان بالله تعالى هو التَّسبيح والتَّحميد أي تنزيه الله تعالى عما لا يليق ، تنزيهاً ارتضاه لنفسه سبحانه ، وإثباتُ المحاسن والكمالات اللائقة به سبحانه.

---

[1] المسند ٨٨٣٠

والله تعالى متَّصف بالكمالات المطلقة على وجه لا يتناهى ، وهو جل وعلا يُحمد على كمالاته فله المحامد كلها ، وهذا معنى: { الحمد لله } فهو سبحانه يُحمد على ما اتَّصف به من كمالات لا تتناهى ، وعلى ما مِنْهُ من نعم وإمداد لخلقه ، فالحمد لله على ذاته المتَّصفة بالكمالات المطلقة ، والحمد لله على ما مِنه من نِعم وفضل ومدد وخير وعطاء ونوال ، وإلى هذا يشير قوله تعالى: { الحمدُ لله ربِّ العالمينَ } أي خالقهم ومربّيهم ومُمِدّهم ورازقهم.

وتسمى الكمالات محامداً ، لأنَّ صاحبها الذي اتَّصف بها يُحمد عليها ، كمن اتَّصف بالأدب وحسن الخلق والصَّلاح والكرم والمروءة فهو يحمد على ذلك كلّه ، أمَّا ربُّ العالمين جل وعلا والذي ليس كمثله شيء ، فكمالاته مُطلقة لا تتناهى ، فمحامده لا تتناهى.

ولذلك لا يحصي عبدٌ ثناء عليه ولا حمداً له سبحانه وتعالى ، وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم:[أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ][1] .

وليست كمالات الله تعالى تشبه كمالات الإنسان ، إذ إنَّ كمالات الإنسان مقيدة تليق به كمخلوق ، ومن كمالاته : أنَّه يأكل ويشرب ويتزوَّج.

أمَّا كمالات الله تعالى فهي مطْلقة لائقة به جلَّ وعلا ، ولا حدَّ في حصرها وانتهائها.

وإنَّ كمال كلِّ مخلوق يكون على حسب ما خلقه الله تعالى له، فمن كمال الرَّجل الخُشونة والجلادة ، و من كمال المرأة الرِّقة والنُّعومة ،ومن تكلَّف غير ذلك فقد خرج بنفسه عن فطرة الله تعالى التي فطره عليها .

---

١ سنن أبي داود كتاب الصلاة واللفظ له وموطأ الإمام مالك كتاب النداء للصلاة عن السيدة عائشة رضي الله عنها.

روى البخاري وغيره عن ابن عباسٍ رضي اللهُ عنهما قالَ: [لعن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المتشبِّهينَ من الرّجال بالنّساء ، والمتشبّهات من النّساء بالرّجالِ][1].

أمَّا كمالات الله تعالى فلا تشبه كمالات أحد من خلقه ، بل كمالاته جل وعلا كمالات مطْلقة تليق بجلاله وعظمته سبحانه ، ولا مشابهة بين الخالق والمخلوق ، ولا مناسبة ولا مماثلة ، بل هو سبحانه ربٌّ خالق قديم أزلي ، أمَّا العبد فهو مخلوق مربوب حادث بعد عدم.

وكماله سبحانه ذاتي له ، أمَّا كمال العبد فمخلوق مكتسَب ، ولولا خلْق الله تعالى وإمداده للإنسان ولصفاته لمَا كان له وجود ولا سمع ولا بصر.

وإنَّ الله تعالى قد فطر الموجودات والخلائق كلها على فطرة التوحيد أي على تسبيحه وتحميده سبحانه ، وهذا قوله تعالى: {وإنْ منْ شيءٍ إلا يسبِّحُ بحمدهِ } الآية ، وقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ قال :[إنَّ نبي الله نوحاً عليه السلام لما حضرتهُ الوفاةُ قال لابنيهِ : إنّي قاصٌّ عليكما الوصية : آمرُكما باثنتينِ وأنهاكما عن اثنتين .

آمركما : بـ لا إلهَ إلا اللهُ، فإن السَّمواتِ السَّبع والأرضينَ السَّبعَ لو وضعتْ في كفَّةٍ ووضعتْ لا إلهَ إلا اللهُ في كفَّةٍ، رجحتْ بهن لا إلهَ إلا اللهُ، ولو أنَّ السَّمواتِ السَّبعَ والأرضينَ السَّبعَ كُنَّ حلقةً مُبهمةً قصمتهنَّ لا إلهَ إلا اللهُ.

و آمركما : بـ سبحانَ اللهِ وبحمدهِ ، فإنَّها صلاةُ كلّ شيءٍ ، وبها يرزقُ الخلقُ، وأنهاكما عن الشركِ والكبرِ.

قال : قلت أو قيل : يا رسول الله ، هذا الشركُ قد عرفناهُ ، فما الكبرُ؟

أن يكونَ لأحدنا نعلان حسنتان لهُما شراكانِ حسنانِ ؟

قال: لا.

قال : هو أنْ يكونَ لأحدنا حلةٌ يلبسها ؟

---

[1] صحيح البخاري كتاب اللباس وسنن ابن ماجه كتاب النكاح

قالَ : لا

قالَ : الكبرُ هو أن يكونَ لأحدنا دابةٌ يركبها ؟

قالَ : لا

قالَ: أفهوَ أنْ يكونَ لأحدنا أصحابٌ يجلسونَ إليهِ ؟

قالَ : لا

قيل : يا رسول اللهِ ، فما الكبرُ ؟

قالَ :سفهُ الحقِّ ، وغمصُ النَّاسِ][1] .

ومن زعم أن { لا إله إلا الله } هي كلمة ، ولا ثِقل لها جسماني أو مادي حتى تقصِم حلقة السماوات والأرض.

فيقال : إنَّ قوة الأمور وعظمتها تكون بما حملته من معانٍ عُلوية ، ولا أقوى ولا أثبت ولا أصدق من كلمة { لا إله إلا الله } .

ولكي تفهم ذلك جلياً ، فيقال لك:

إذا كنت قوي الجسم متيناً ، فهل قوة جِسمك ومتانتك إلا بسبب شيء لطيف سرى فيك ولا تراه ، وهو روحك ، بحيث لو فقدتها لزالت قوتك ومداركك كلها ؟!

ألا ترى إلى قوَّة الكهرباء والإشعاعات التي بواسطتها يشقون الصخور والحديد ، مع أنَّ الكهرباء والإشعاعات لا تُلمس ولا تُرى ، لكنَّ أثرها ومعناها ظاهر في تحريك المحركات وتسيير العربات وغير ذلك.

فما تحركت الكثائف إلا بقوة اللَّطائف ، فلا تنكر ذلك فتكون أحمقاً .

ومن زَعَم أن لا تأثير للكلام مادي ولا جسماني ، فيُقال له : " أنت أحمق جاهل" فتراه يتأثَّر ويحمرّ وجهه ويغضَب ويهيج .

---

[1] انظر المسند ٦٢٩٥ و ٦٨٠٤

فقل له عندئذٍ : لمَ اعتراك هذا ، فأنا لم أضربْك بعَصا ولا بحجر ، بل وجَّهت إليك كلاماً ، وأنت تزعم أنَّ الكلام لا تأثير مادي له ؟!

فيقول عندئذٍ : إنَّ لكلامك معنى أثَّر فيّ.

فقل له عندئذٍ : هذا ما أردته منك ، وهو أن تسلِّم أنَّ للأمور المعنوية وللكلام تأثيراً مادياً في المباني ، فلكلّ كلام معنى ، ولكلِّ معنى مبنى ، وله قوَّة وفعالية ، ولا أعظم ولا أقوى من كلمة { لا إله الا الله} .

قوله عليه السلام :[وآمركما : بـ سبحانَ اللهِ وبحمدهِ ، فإنَّهَا صلاةُ كلّ شيءٍ، وبها يُرزقُ الخلقُ] فجميع الأشياء تسبّح الله تعالى وتحمده ، وبذلك تستمد الرزق من الله تعالى ، والله تعالى يحجب المشرك والمتكبر عن حضرته ، ولذلك فإن صالحي الخلق يمقتون المُشرك والمُتكبّر ، فالمُتكبّر ممقوت عند الله تعالى وعند الصالحين من خلق الله تعالى ، والمُتواضع لله تعالى قريب من الله تعالى قريب من الصالحين قريب من خلق الله تعالى.

ويحتاج الإنسان في حياته دوماً إلى التَّسبيح والتَّحميد، لأنَّه قوت القلوب، وبه يدفع الإنسان عن نفسه الشُّبهات والضَّلالات والوساوس الشيطانية التي قد تعتريه ، وإن التبس عليه فهم وتقبُّل أفعال الله تعالى في خَلْقه وخفِيت عليه حِكمة الله تعالى من وراء ذلك فعليه بتسبيح الله تعالى حتى لا يقع في الاعتراض والانتقاد على قضاء الله وقدَره وهكذا...

فليؤمن العبد أنَّ الله هو العليُّ الحكيم المتصرِّف بشؤون عباده بالحقِّ والعدل ، ولا يَظلِم أحداً مثقال ذرَّة ، وهو الرحمن الذي وسعت رحمته كلَّ شيء ، وهو الرحيم الذي خصَّ المؤمنين برحماته وأفضاله ، قال عز من قائل :{وكانَ بالمؤمنينَ رحيماً} .

وإذا عظُم في نظرك شيء وكبُر ، فسبِّح الله تعالى ، فإنَّ الذي خلقه هو أعظم وأكبر وأجل، قال سبحانه: { سُبحانَ الَّذي خلقَ الأزواجَ كلَّهَا ممَّا تنبتُ الأرضُ ومنْ أنفسهمْ وممَّا لا يعلمونَ }.

ولا تستبعد شيئاً عن قدرة الله تعالى التي لا حدَّ لها ، ونزِّهِ الله تعالى وسبِّحه عن أن يكون لقُدرته حدٌّ أو أن يعجزه شيء في السماوات أو في الأرضِ.

وينبغي على الإنسان أيضاً أن لا يغفل عن حمد الله تعالى ، لأنَّه دائماً يتقلَّب في نعم الله تعالى عليه وفضله عليه ، وقد قال تعالى : { وإن تعدُّوا نعمة اللهِ لا تُحصُوها }.

وأعظم نعمة لدى الإنسان المؤمن أنعم الله بها عليه ، هي نعمة الإيمان ، التي مَن فَقَدَها فقدْ خسر الدنيا والآخرة ، وقد قال تعالى : { ولكنَّ اللهَ حبَّب إليكمُ الإيمانَ وزينهُ في قلوبكمْ وكرَّه إليكمُ الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ أولئكَ همُ الرَّاشدون * فضلاً من الله ونعمة واللهُ عليمٌ حكيمٌ } فعلى المؤمن أن يحمد الله تعالى على نعمة الإيمان ، وأن يسأله ثبات الإيمان وزيادته في قلبه والتوفيق للعمل بمقتضياته ، وقد قال تعالى: { قلْ بفضلِ اللهِ وبرحمتهِ فبذلكَ فليفرحوا هو خيرٌ ممَّا يجمعونَ } أي فليفرحوا بفضل الله تعالى عليهم أن وفقهم للإيمان ، وبرحمته لهم أن جعلهم من أمَّة خير الأنام صلى الله عليه وسلم ، ولله تعالى المنَّة عليهم في ذلك، قال جل جلاله: {بل الله يمنُّ عليكمْ أنْ هداكمْ للإيمانِ} .

ولله تعالى المنَّة عليهم أن بعث فيهم خير خلقه رسولاً، وهو سيدنا محمَّد صلى الله عليه وسلم ، فقال عز من قائل: { لقدْ منَّ اللهُ على المؤمنينَ إذ بعثَ فيهمْ رسولاً منْ أنفسهمْ يتلوا عليهمْ آياتهِ ويزكّيهمْ ويعلّمهمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا من قبلُ لفي ضلال مبينٍ } .

ولمَّا مرَّ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم برجُل وهو يقول : "الحمد لله الذي هداني إلى الإسلام وجعلني من أمة أحمد صلى الله عليه وسلم" قال له: [شكرتَ عظيماً][1] .

١انظر شعب الإيمان للبيهقي.

إذ إنَّ فضائل و خصائص ومكارم أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على غيرها من الأمم كثيرة ، وهي خير الأمم ، لأنَّ رسولها صلى الله عليه وسلم هو خير الرسل وأعظمهم ، بل هو سيدهم وإمامهم في الدنيا وفي الآخرة ، ويشرُف المقتدي على شرف إمامه ، ويشرف التَّابع على شرف متبوعه ، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من خاصة أتباعه وأحبابه صلى الله عليه وسلم. آمين

ونسأل الله التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة العاشرة بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

أما بعد :

بالسند المتصل إلى الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري رضي الله عنه قال :

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم .

كتاب الرقاق .

باب: لا عيش إلا عيش الآخرة .

ثم أورد بسنده إلى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِن النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

[اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَهْ، فَأَصْلِحِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ].

وعن سَهْل بن سَعْدٍ السَّاعِدِيّ رضي الله عنه قال:[كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخَنْدَقِ وَهُوَ يَحْفِرُ وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ وَبَصُرَ بِنَا فَقَالَ:

اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَهْ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ].

بَاب مَثَلِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى:

{ اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِن اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ }.

ثم أورد بسنده إلى سَهْلٍ رضي الله عنه قَالَ:سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:[مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِن الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِن الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا].اهـ

وفي هذا الكتاب ذكر البخاري رضي الله عنه جملة من الأحاديث التي ترقق القلوب وتلطفها وتوقظها من غفلتها وتذكرها بالآخرة ، وإلى ذلك ذهب كثير من المحدثين ، حيث يفردون في تراجمهم للأحاديث كتاباً قد يسمونه كتاب الزهد أو كتاب الوعظ والتذكير أو كتاب الرقاق ...

وإن خير ما يرقق القلوب ويلطفها إنما هو تذكيره صلى الله عليه وسلم ، ولذلك جاء عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[إِنَّا إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ فَحَدَّثْتَنَا رَقَّتْ قُلُوبُنَا ....][1] الحديث - أي : تلطفت و صفت.

وذلك لأن العمل في أمور الدنيا والانغماس فيها يقسّي القلب ويُظلمه فلا بد للإنسان أن يرعى قلبه ويسعى في تلطيفه بسماعه لمواعظ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتذكيره .

قوله صلى الله عليه وسلم:[نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِن النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ] وفي هذا تنبيه من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعموم المؤمنين على اختلاف مراتبهم ، ولا ينبغي للإنسان أن يخرج نفسه من هذا العموم مزكياً لنفسه مدعياً أنه لا يشمله التنبيه النبوي المحمدي صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأن مواعظه و إرشاداته وتذكيره صلى الله عليه وسلم يشمل جميع المؤمنين على اختلاف مراتبهم وتفاوت درجاتهم وإيمانهم ، إلا أن كلاً ينتفع من الوعظ والتذكير على حسبه .

وقوله صلى الله عليه وسلم:[نِعْمَتَانِ]- أي : عظيمتان كبيرتان لا أعظم منهما إلا نعمة الإيمان وأنك من أمة خير الأنام صلى الله عليه وسلم .

---

[1] مسند الإمام أحمد ١٢٣٣٣

فالصحة أن يكون الجسم صحيحاً خالياً من الأمراض المُقعِدة التي تمنع صاحبها عن القيام بعبادة الله تعالى حق القيام ، وكذلك أن يكون قلبه خالياً من الهموم والغموم والأحزان التي تشغله فتمنعه عن التلذذ بعبادة الله تعالى.

والفراغ في الوقت أن يجد الإنسان سعة في وقته ولا يجد ما يملأ به هذا الفراغ ، فليحرص عليه عندئذ ولا يضيعه بالقيل والقال واللهو واللعب .

قوله صلى الله عليه وسلم : [مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِن النَّاسِ] مِن الغبن وهو الخسارة ، وقد تكون الخسارة جزئية أو كلية ، والمعنى : أن كثيراً من الناس في خسارة لنعمة الصحة ونعمة الفراغ التي أنعم الله بهما عليهم ، وذلك لأن مَن أتعب جسمه وأنهك قواه في اشتغاله باللهو واللعب وحطام الدنيا فقد خسر صحته - التي أنعم الله بها عليه وأمره أن يصرفها في عبادته والتقرب إليه - وكذا الفراغ إن شغله الإنسان باللهو واللعب وما لا فائدة منه.

وقد قال سبحانه : { وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } أي : إن الإنسان لفي خسر من عمره الذي هو رأس ماله للآخرة إلا من آمن وملأ وقته بعمل الصالحات ، وأوصى نفسه وغيره بفعل أوامر الشريعة والانتهاء عن ما نهت عنه .

وإن الله تعالى الذي أنعم على الإنسان بصحة جسمه وسمعه وبصره ومداركه سوف يسأله عنها: هل أحسن التصرف بها بأن استعملها فيما يرضي الله تعالى أم أنه خان هذه الأمانات ؟

وفي هذا يقول سبحانه : { إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً } ، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [إن أول ما يسأل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له : ألم نُصِحّ لك جسمك ونَرْوِك من الماء البارد؟][1].

وهذا أول سؤال فيما يتعلق بالنعم الجسمية التي أنعم الله بها على الإنسان، وإلا فهناك سؤال عن الإيمان وعن الصلاة وعن حقوق العباد وهكذا ... فيسأل اللهُ الإنسانَ عن صحة جسمه أين صرفها ؟وفيم استعملها ؟ وأين أتعب جسمه؟ ويسأله عن كل النعم حتى نعمة الماء البارد العذب لما شربه: هل حمد الله عليه؟

وقال ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في معنى قوله تعالى: { ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم } قال : [الأمن والصحة][2].

وأما الاشتغال في الدنيا فلا بد منه على أن يكون على الوجه الذي شرعه الله تعالى في البيع والمعاملة ، وأن تكون نيته في عمله أن ينتفع وينفع الآخرين، وأن يسعى على عياله مبتغياً فضل الله تعالى ورزقه وأن لا يعتمد على عقله وتدبيره وفهمه وأن لا يكون همه جمع الأموال والتكاثر فيها ، بل عليه أن يحسن التصرف فيما رزقه الله تعالى ، وأن يؤدي حق الله في ماله ، ومن كان هذا شأنه فقد جعل دنياه لآخرته ، وآخرته لربه فصار الكل لله تعالى ، وصار يُؤْجر على عمله في الدنيا لأنها لم تشغله عن العمل لآخرته ، وقد قال سبحانه : {رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذِكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً} - أي : لأنهم يخافون يوماً {تتقلب فيه القلوب والأبصار}.

فمهما عظمت تجاراتهم فلا تشغلهم عن ذِكر الله تعالى ومراقبته والقيام بحقوقه سبحانه عليهم .

---

[1] قال السيوطي في الدر المنثور : وأخرج أحمد في زوائد الزهد وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن حبان وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان .... وذكر الحديث

[2] انظر كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل

وأما من ضيع عمره في القيل والقال والاشتغال بعيوب الناس ، وفي اللذائذ والشهوات المحرمة فقد غُبِن في عمره أي : خسره - بأن غَبَن هو نفسه وضيَّع عمره وأفنى جسمه ، وهذا قوله تعالى : { والعصر } - أي : والعصر الذي حوى عمر كل معمّر - { إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}.

واعلم أن الزمان أمر نسبي قد ابتدأ منذ خلق الله السماوات والأرض، ويُعرف بدوران الفلك ومقارنة الحوادث بهذه الدورة[1]حتى إذا جاء يوم القيامة انتهى الزمن في عالم الدنيا ، فانتهى يوم الدنيا ودخل اليوم الآخِر الذي أوله يوم القيامة ، وهو يوم عظيم لا يلد يوماً غيره كما وصفه سبحانه: { أو يأتيهم عذاب يوم عقيم } .

وقد بين سبحانه أنه لا بطالة في دين الإسلام ، ولا ضياع للعمر فيه، وأنه على كل مؤمن أن يحرص على وقته وأن يغتنمه بالعمل الصالح ، وهذا ما أراده سبحانه بقوله : { فإذا فرغت فانصب * و إلى ربك فارغب } أي : فإذا فرغت من عمل فانصب إلى غيره ، ولتكن رغبتك ومقصودك من ذلك كله وجه الله تعالى ، وهذا معنى قوله تعالى : { وإلى ربك فارغب } أي : تكون الرغباء إليه سبحانه ، فلا رياء ولا سمعة ولا مباهاة ولا حب ظهور وترفع .

وهذا الخطاب في قوله تعالى : { فإذا فرغت فانصب } موجه إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه رأس النوع الإنساني ، وذلك لأن الخطاب يتوجه دوماً إلى الرأس وإن لم يكن موضوعه يتعلق به ، ألا ترى إذا كلمت إنساناً فإنك تنظر إلى وجهه ورأسه ولا تنظر إلى يديه أو قدميه مهما كان موضوع خطابك وكلامك ، حتى وإن كان يتعلق بقدميه فلا تنظر إليهما بل تنظر إلى رأسه .

---

١ الزمن: هو مقارنة الحوادث بدورة الفلك.

ولما كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وجه الأمّة ورأس النوع الإنساني جاءت الخطابات الإلهية موجهة إليه ، وقد يكون موضوعها يتعلق بالأمّة أو بغير ذلك كما في قوله تعالى : { لئن أشركت ليحبطن عملك} وهو السيد المعصوم بعصمة الله تعالى ، وقوله : { يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين ... } وهكذا فافهم .

وهناك مِن الخطابات الإلهية ما يتعلق به صلى الله عليه وسلم خصوصاً بأن يتضمن أحكاماً شرعية خاصة به صلى الله عليه وسلم، ومنها ما يتعلق به صلى الله عليه وسلم، والمؤمنون تبع له في ذلك لقوله تعالى : {واتبعوه لعلكم تهتدون }.

وقوله تعالى : { وإلى ربك } يدل على الحصر { فارغب } ولم تأت الآية (وارغب إلى ربك) ، فالتقديم والتأخير يدل على الحصر - أي : فارغب إلى الله تعالى ولا تَمِلْ عن الله تعالى أبداً ، ولا تنصرف رغبتك عن الله تعالى إلى الرغبة فيما يشغلك عن الله جل وعلا لأن التقرب إلى الله والرغبة فيما عند الله هذا هو حياة الإنسان وسعادته ، لأن كل شيء يمر على الإنسان لا بد أنه سيتركه ويفارقه إلا الحي الباقي الذي قال جل وعز :

{وهو معكم أين ما كنتم} أي : في الدنيا وفي البرزخ وفي الحشر وفي النشر وفي الصراط ، وأينما كنتم فهو معكم فكونوا معه - أي : بالمراقبة والمحبة والمهابة والخشية ، ولا تصرفوا رغبتكم عنه إلى غيره.

ولا تقرُّبَ إلى الله تعالى ولا دخول عليه إلا باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والدخول من بابه، فهو صلى الله عليه وسلم باب الله الأعظم

وأنت باب الله أي امرئ أتاه من غيرك لا يدخل[1]

[1] والبيت لسيدي العارف بالله تعالى الشيخ محمد ابن الشيخ أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي الشافعي الأشعري المصري المتوفى سنة ٩٩٣ هـ رحمه الله تعالى ورضي عنه

وقال الإمام الجنيد رضي الله عنه :

[الطُّرُقُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ عَلَى الْخَلْقِ إِلَّا مَنِ اقْتَفَى أَثَرَ الرَّسُولِ ﷺ وَاتَّبَعَ سُنَّتَهُ وَلَزِمَ طَرِيقَتَهُ فَإِنَّ طُرُقَ الْخَيْرَاتِ كُلَّهَا مَفْتُوحَةٌ عَلَيْهِ][1].

ولذلك فإن الأنبياء عليهم السلام دخلوا على الله تعالى يوم القيامة مِن باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي شفع في الخلائق كلها وفتح باب الشفاعة للأنبياء عليهم السلام ولأتباعهم ، وهذا قوله صلى الله عليه وسلم: [إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ وَخَطِيبَهُمْ وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ غَيْر فَخْرٍ][2].

فهو صلى الله عليه وسلم شفيع الكل ولا شفيع له ، وهو إمام الكل الذي أَمَّهم في الدنيا ليلة الإسراء والمعراج ، وسيؤمهم يوم القيامة ، ولا إمام له صلى الله عليه وسلم .

ومِن مناقب الإمام الجنيد رضي الله عنه أنه لما بلغ مبلغ الرجال - أي : في الإيمان والعلم والكمال - قال له شيخه وخاله السري السقطي: "يا بني تكلم على الناس "- أي : عِظِ الناس وذكِّرهم - فتقاصر في نفسه وقال له : "أنا أتكلم على علماء بغداد ؟!- أي : وفيها من العلماء وقتئذ الأكابر والفحول - فبات تلك الليلة فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له : [تكلم على الناس] فاستيقظ وصلى ما تيسر ثم مضى إلى المسجد ، ومرّ في طريقه على بيت خاله السري حتى يخبره بالرؤيا ، فطرق الباب عليه ، فناداه من وراء الباب : أما صدقتني حتى أَمَرك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!.

فذهب إلى المسجد وجلس على الكرسي - وقد اجتمع الناس وتزاحموا لسماع وعظه وإرشاده - فجاء رجل متلثم متنكر ووقف وقال :

يا إمام: ما معنى [اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله][3]؟.

---

[1] حلية الأولياء ٢٥٧/١٠

[2] مسند الإمام أحمد ٢٠٢٩٣ وسنن الترمذي كتاب المناقب وسنن ابن ماجه كتاب الزهد

[3] طرف حديث شريف رواه الترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن

فأطرق الجنيد ثم رفع رأسه وقال له : أسلم يا نصراني ، فقد آن أوان إسلامك، وكان الرجل نصرانياً متنكراً بزي المسلمين فأسلم و آمن[1].اهـ

وهكذا كان جواب الإمام رضي الله عنه جواباً عملياً ، وكان هذا أول مجلس للتذكير .

وكان السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ يبيع سقط الناس - أي: الألبسة المستعملة - ويتَّجر في السوق، فجاءه سيدي معروف الكرخي يوماً، ومعه صبي يتيم، فقال: "اُكْسُ هذا اليتيم" قال سري: فكسوته ، ففرح به معروف، وقال: "بغَّض الله إليك الدنيا، وأَراحك مما أَنت فيه"، فقمت من الحانوت وليس شيء أبغض إليَّ من الدنيا ، وكل ما أنا فيه من بركات معروف[2].

ويجدر بنا هنا أن نذكر سلسلة أئمة القوم رضي الله عنهم فنقول:

---

[1] انظر وفيات الأعيان ٣٧٤/١ والرسالة القشيرية ٣٩٦/٢

[2] انظر الرسالة القشيرية ٤٥/١

أبو بكر الشبلي رضي الله عنه[1] عن الإمام الجنيد [2] رضي الله عنه عن السري السقطي[3] رضي الله عنه عن معروف الكرخي[4] رضي الله عنه

---

[1] سيدي الإمام أبو بكر الشبلي ، وقد ذكر كثير من مؤرخي الصوفية أن اسمه دلف بن جحدر الشبلي ، بينما ذهب آخرون الى أن اسمه جعفر بن يونس، وقد روى السلمي هذه التسمية الأخيرة في طبقاته عن أحد معاصريه ، ورأى ذلك مكتوباً على قبر الإمام الشبلي ببغداد، وقد ولد رحمه الله تعالى ورضي عنه في بغداد، وتوفي فيها سنة ٣٢٤ هـ عن سبع وثمانين سنة

[2] سيدي الإمام الأكبر و العارف الأشهر، شيخ مذهب الطريقة وعلم أعلام هذا الشأن ، أصله من نهاوند، ومنشؤه بالعراق، وأبوه كان يبيع الزجاج؛ فلذلك يقال له:(القواريري)، توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه سنة ٢٩٧هـ

[3] الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو الحسن البغدادي ، ولد في حدود الستين ومئة، هو خال الجنيد وأستاذه رضي الله تعالى عنهما، صحب معروفاً الكرخي وهو أجلُّ أصحابه ، وكان أوحد أهل زمانه في الورع والأحوال السنية وعلم التوحيد ، وهو أول من يتكلم فيه ببغداد ، وإليه ينتمي أكثر المشايخ ببغداد، ومات بها سنة إحدى وخمسين ومائتين للهجرة ، وقبره بالشونيزية ظاهر يزار.

ومن كلامه رضي الله عنه: (من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه ويقل غمه من سماع الكلام الذي يغمه فليعتزل الناس لأن هذا زمان عزلة ووحدة).اهـ

انظر سير أعلام النبلاء ١٨٥/١٢ والطبقات الكبرى للشعراني ٧٣

[4] سيدي معروف الكرخي علَم الزهاد، بركة العصر، أبو محفوظ البغدادي، قال إسماعيل بن شداد: قال لنا سفيان بن عيينة: ما فعل ذلك الحَبر الذي فيكم ببغداد ؟ قلنا: من هو ؟ قال: أبو محفوظ معروف.
قلنا: بخير، قال: لا يزال أهل تلك المدينة بخير ما بقي فيهم.
وقد استجيب دعاؤه في غير قضية ، وعن إبراهيم الحربي قال: (قبر معروف الترياق المُجرَّب) يريد إجابة دعاء المضطر عنده لأن البِقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء ، توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه سنة مئتين للهجرة النبوية الشريفة. انظر سير أعلام النبلاء ٣٣٩/٩

عن داود الطائي[1] رضي الله عنه عن حبيب العجمي[2] رضي الله عنه عن الحسن البصري [3]رضي الله عنه عن الإمام سيدنا علي[1] كرم الله وجهه ورضي عنه عن سيد الكونين وإمام المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

---

[1] سيدي داود بن نُصير، أبو سليمان الطائي، الكوفي ، الإمام، العالم، العامل، العابد، الزاهد، أحد أصحاب الإمام أبي حنيفة رحمهما الله تعالى ورضي عنهما ، وكان ممن شغل نفسه بالعلم، ودرس الفقه وغيره من العلوم، ثم اختار بعد ذلك العزلة والانفراد والخلوة، ولزم العبادة، واجتهد فيها إلى آخر عمره.
وقدم بغداد في أيام المهدي، ثم عاد إلى الكوفة، وبها كانت وفاته سنة ستين ومائة للهجرة النبوية الشريفة رحمه الله تعالى ورضي عنه.
قال عطاء: كُنا ندخل عليه فلم يكن في بيته إلا باريةٌ، ولبنةٌ يضع عليها رأسه، وإجانةٌ فيها خبزٌ، ومطهرةٌ يتوضأ منها، ومنها يشرب.
انظر الطبقات السنية في تراجم الحنفية ٢٧٩

[2] هو سيدي حبيب بن محمد العجمي، أبو محمد البصري، أحد الزهاد المشهورين الموصوفين بالزهد والورع والكرامات واستجابة الدعاء.

عبد الله ستين سنة ولم يشتغل بشيء من الدنيا قط .

توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه سنة تسع عشرة ومائة للهجرة ، كما أفاده ابن الجوزي في " المنتظم" .

انظر سير أعلام النبلاء ١٤٣/٦ وتاريخ دمشق لابن عساكر ٥١/١٢

[3] سيدي أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وربما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سلمة رضي الله عنها لبنها تعلله به إلى أن تجيء أمه، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك.
وقيل له: إن فلاناً اغتابك، فبعث إليه طبق حلوى وقال: بلغني أنك أهديت إلي حسناتك فكافأتك.=

ونسأل الله التوفيق ، وصلى الله على أكرم الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين.

= ومولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة ، وكانت جنازته مشهودة، رحمه الله تعالى ورضي عنه.
انظر وفيات الأعيان ٦٩/٢
١ سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه
عمره : ٦٣ سنة.
مولده : ولد بالبيت الحرام بمكة المكرمة يوم الجمعة في اليوم الثالث عشر من شهر رجب السنة العاشرة قبل البعثة النبوية ، وهو أول هاشمي وُلد من هاشميين.
أمه : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنها.
كنيته : أبو الحسن.
ألقابه:
١- الأمين : لبقائه في مكة لرد الأمانات التي كانت عند سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
٢- أبو تراب : كنّاه به النبي صلى الله عليه وسلم (كما في الصحيحين).
٣- أمير المؤمنين.
٤- المرتضى.
٥- الإمام.
٦- المجتبى.
توفي رضي الله عنه شهيداً ليلة الجمعة ٢١ رمضان سنة ٤٠ هـ بالكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم المحاضرة الحادية عشرة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصَّلاة وأكمل التَّسليم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سبحانكَ لا عِلم لنا إلا ما علَّمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم.

أمَّا بعد: بالسَّند المُتَّصل إلى الإمام الحافِظ أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيمَ بن المُغيرة بن بَردِزبه الجُعفي البُخاري رضي الله عنه قال :

بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} جَمْعُهُ سُعُرٌ قَالَ مُجَاهِدٌ.

{ الْغَرُورُ } الشَّيْطَانُ.

ثم أورد بسنده إلى ابن أبان قال :

أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ بِطَهُورٍ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى الْمَقَاعِدِ ، فَتَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ وَهُوَ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ:[مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الْوُضُوءِ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ].

قَالَ: وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[لَا تَغْتَرُّوا].اهـ

لقد ذكر البخاري رضي الله عنه هذا الحديث في كتاب الرقاق الذي ذكر فيه جملة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ترقق القلوب وتلين قسوتها و تنبهها من غفلتها لما فيها من الموعظة و التذكير بالآخرة ولقاء الله تعالى ..

و إن أعظم ما يشغل قلب الإنسان عن ربه هو الدنيا و أموالها و زخارفها و .. لذلك نبه الله تعالى عباده إلى ذلك فقال : {يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور } ... الآيات .

والمعنى : إن وعد الله تعالى بالقيامة و السؤال و الحساب و العرض على الله تعالى و الجنة و النار .. كل ذلك أمر حق لا بد من وقوعه فلا تشغلكم الحياة الدنيا عن الاشتغال بالحياة الآخرة و الاستعداد لها بأن تغترّوا بالدنيا و تركنوا إليها و تشتغلوا عن الآخرة ، و قد قال الله تعالى : {قل متاع الدنيا قليل و الآخرة خير لمن اتقى } ، و قال جل وعلا : {وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو و لعب و إن الدار الآخرة لهي الحيوان } أي الحياة الحقيقية الباقية.

و إن قوله تعالى : { فلا تغرنكم الحياة الدنيا } يدل على أن الدنيا غرّارة تغرّ الإنسان و تخدعه بأموالها وزينتها و زخارفها ، و لولا أنها غرّارة ما حذّر الله عباده منها .

وقد جاء تحذيره تعالى من الدنيا بصيغة التأكيد فقال عز من قائل: {فلا تغرنكم }[1] ليدل على أنها كثيرة الغرور ، وكثير من يغترّ بها ويطمئن إليها وقلَّ مَن يسلم مِن غرورها .

وقوله تعالى : {ولا يغرنكم بالله الغرور} أي : الشيطان المعروف بخداعه ومكره بالإنسان ، و قد بين سبحانه للإنسان بأن الشيطان عدو له فقال عز وجل: { إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً } أي : فطالما أنه عدو لكم يريد بكم كل شر فاتخذوه عدواً ولا تتخذوه صاحباً ناصحاً بل أعلنوا عداوته و مقاومته و احذروا شروره و استعيذوا بالله تعالى منه .

و إن طرق عداوة الشيطان للإنسان كثيرة فيأتي كل إنسان على حسب قوة إيمانه ويستمر في تزيين الشر له ويوسوس له على أنه محض الخير ، وقد يثبِّط همته في طاعة الله ويزين له بأنه رجل كثير العمل ...

ولا بأس إن أخّر تلك الصلاة أو صلاها قاعداً وذلك ليحرمه من الخير وهكذا.... فإن للشيطان على الإنسان مداخل كثيرة و أساليب متنوعة يخدع بها الإنسان ليوقعه في المهالك.

---

١ جاء فعل الأمر مؤكَّداً بنون التوكيد الثقيلة زيادة في التأكيد على ضرورة تجنب الإنسان من الدنيا الغرارة

وإن الشيطان عدو للإنسان مبِين كما وصفه سبحانه فهو مبين العداوة للإنسان لا يخفيها و لكنه قد يأتي الإنسان بوساوس ليزين له أنه يريد له الخير ولكنه عدو لا يريد بالإنسان إلا الشر ، ألا ترى إلى عداوته التي ظهرت أول ما ظهرت مع أبي البشر آدم عليه الصلاة والسلام ؟!

ولا بد للإنسان من ميزان يزن به ما يرِد على قلبه من خواطر وإلهامات ووساوس بهذا الميزان ليميِّز بين الإلهام الرحماني والإلمام الشيطاني والخواطر النفسانية ، فما كان مصدره رحمانياً علوياً ملكياً قبِله وأخذ به، وما كان غير ذلك ردَّه .

و هذا الميزان هو ميزان الشريعة المحمدية التي جاء بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم والذي ذكره سبحانه بقوله: {الله الذي أنزل الكتاب بالحق و الميزان} أي : و أنزل الميزان بالحق أيضاً ، فكما أنزل الله سبحانه الكتاب على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل عليه أيضاً الميزان وهو الوحي النبوي الذي أُنزل عليه، ويتضمن أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته و يطلق على ذلك كله السنة المحمدية المطهرة ، وهي أيضاً الحكمة التي أنزلها الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم كما قال سبحانه : {وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة} الآية ..

وهذا الميزان هو ميزان الفهم القرآني والمعاني والأقوال والأفعال، فكل ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم هو الحق وفيه صلاح الإنسان وسعادته، وفيه الحكمة لأن الحكمة وضع الشيء في موضعه اللائق به .

وكل شيء خالف شرعه صلى الله عليه وسلم وما جاء عنه فهو مردود، لا مصلحة للإنسان فيه وإن استحسنته بعض العقول ، لأنه لو كان عقل الإنسان ميزاناً يزن المفاهيم و المعاني لَمَا تضاربت العقول في استحسان بعض الأمور أو ردها وإنكارها؟!

ولذلك لا بد للعقول الإنسانية من ميزان أقوى وأعظم ترجع إليه ، وهذا هو ميزان الشريعة الإلهية الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي وصفه سبحانه بالحكمة، وإن الذي خلق الإنسان هو أعلم به و بما يُصلحه و ينفعه ، وأعلم بما يضره و يفسده ، قال عز من قائل : {ألا يعلم من خلق} و لذلك شرع للإنسان شرعاً يصلحه و يسعده ، قال تعالى : {ألا له الخلق والأمر}، وقال صلى الله عليه وسلم :

[أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ...][1]. الحديث

قوله تعالى: {فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور } أي : فلا يغرنكم الشيطان فقد يزين لكم أموراً ويحسّنها في نظر أحدكم ولكنها قبيحة مذمومة عند الله تعالى ، وهذا ما يعرف بالرجوع إلى الميزان المحمدي ﷺ ، فقد يزين الشيطان للإنسان ويحسن له الاستكثار من أموال الدنيا ويوسوس له أن ذلك خير له في حقه وينفع عند كِبَره كما ينفع أولاده من بعده ، وأن تكاليف العيش باهظة ، وهكذا يذهب الإنسان في تلك المتاهات ويجدّ ويشقى في تحصيل أموال الدنيا ويهمل آخرته والعمل لها حتى يأتيه الموت وهو في غفلة فيترك الدنيا وما فيها ويترك ماله الذي أفنى عمره في جمعه ليتقاسمه ورثته ، حتى إذا صار في قبره فهناك يصحو من غفلته وتتوارد عليه الحسرات ولا تنفعه الندامة ، ونسأل الله العافية.

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة كتاب الزهد واللفظ له ومستدرك الحاكم كتاب البيوع

ولو أن الإنسان سعى في الدنيا وجمع من أموالها حباً في فعل الخيرات وقام بحق الله تعالى عليه فإن ذلك في حقه نعمة ويكون المال بالنسبة إليه قربة يتقرب بها إلى الله تعالى إذا أدى زكاة ماله و أنفقه في فعل الخيرات. وليعلم كل غني أنه إذا أدى زكاة ماله للفقير فقد أعطاه بذلك حقه وليس له مِنّة أو فضل على ذلك الفقير كمن أدى الأمانة إلى من ائتمنه عليها فليس له فضل على صاحبها إذا أداها له ، وكمن رد قرضاً استقرضه، وكذلك من أعطى زكاة ماله للفقراء فقد أدى ما أوجبه الله عليه حيث شرع جل وعلا حقاً في أموال الأغنياء للفقراء، والمال كله لله تعالى ، وإنما استخلف الإنسان عليه وأمره أن يصرفه في المصارف التي أمره بها ، قال جل وعز : {آمنوا بالله ورسوله و أنفقوا مما جعلكم مستخلَفين فيه} فهنالك الزكاة والصدقات والمساهمة في فعل الخيرات والقرض الحسن وهكذا .. فليعلم الغني أن للفقير المنة والفضل عليه بأن يقبل من زكاة ماله إذ لو أجمع فقراء البلد أن لا يقبلوا زكاة أموال الأغنياء وصدقاتهم الواجبة عليهم لكان على الأغنياء أن يستعطفوا الفقراء ويرجوهم أن يقبلوا منهم زكاة أموالهم لتسقط عنهم ويتخلصوا من الإثم ، ولذلك قال تعالى : { وفي أموالهم حق للسائل والمحروم} ، وقال جل وعلا : { وآت ذا القربى حقه والمسكين} فأثبت سبحانه للفقراء حقاً في أموال الأغنياء ، فلا تقل على سبيل المنّ والمفاخرة : "إني أمُنّ على فلان وأعيّر فلاناً " بل المَنُّ والفضل كله لله تعالى فهو سبحانه يرزقك وجعل في رزقك رزقاً لغيرك فلا تبخل بأدائه ...

قوله تعالى: {فلا تغرنكم الحياة الدنيا} أي بأموالها وزخارفها ومآكلها ومشاربها أيضاً إذ ليس من شأن المؤمن أن يكون الأكل و الشرب همه فيسعى إلى تحضير الأكلة الفلانية أو الشربة الفلانية ويهتم لذلك ويبذل جهده في تحصيل ما اشتهت نفسه من الطعام والشراب وكأنه خلِق لذلك فقط ، ويغيب عنه أن الله تعالى قد خلقه لعبادته والتلذذ والتنعم بنِعَمه سبحانه، وسخر له الأكوان حوله ليحيا حياة سعيدة، وسخر له الطعام والشراب ليأكل ويتقوى بهما على عبادة الله وطاعته فيبقي على حياته وتزيد عليه قوته ويقوم بحق الله عليه ، ولم يخلقه الله سبحانه ليأكل ويشرب فقط ، ولو كان كذلك فهو والبهائم سواء !

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده : [مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ][1] وفي رواية :[ما ملا آدمي وعاء شراً من بطنه][2].

وقل للذي يفرح بالدنيا إن هي أقبلت عليه بأموالها وتجاراتها وزخارفها أكثر من فرحه وسروره إن هو قام بعبادة الله وطاعته والقيام بحق الله في ماله قل له: أنت مغرور بالدنيا وإن زعمت خلاف ذلك، لأن الله تعالى قال : {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون} أي: هو خير مما يجمعون من أموال الدنيا ، وقال تعالى مخبراً عن قوم قارون الذين نصحوه وذكَّروه: { إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين}.

قوله في الحديث المتقدم: [فأحسن الوضوء] فسّرته رواية ثانية للحديث: [فغسل ثلاثاً ثلاثاً][3] وهذا هو الإسباغ في الوضوء كما كان عليه صلى الله عليه وسلم .

وقد أخبر عثمان رضي الله عنه أنه توضأ كما توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلّغ ذلك من حوله معلّماً لهم أن يكونوا في وضوئهم متّبعين لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قوله صلى الله عليه وسلم: [مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ][4] ، وفي رواية ثانية: [مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ][5] لم يقيدها في المسجد ثم قال صلى الله عليه وسلم :[لَا تَغْتَرُّوا].

وفي رواية: [مَا مِنْ امْرِئٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ثُمَّ يُصَلِّي الصَّلَاةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الْأُخْرَى حَتَّى يُصَلِّيَهَا][6] وهذا المعنى قائم على صغائر الذنوب، وإلا فلا بد للكبائر من توبة نصوحة كما جاء في غير هذا الموضع.

---

[1] ١٦٥٥٦
[2] انظر سنن النسائي الكبرى
[3] المسند ٤٦٢
[4] المسند ٤٢٩
[5] المسند ٤٤٨
[6] طرف حديث في موطأ الإمام مالك كتاب الطهارة

ومَن توضأ ليصلي صلاة مكتوبة تسبقها سنة فإن ركعتي تحية الوضوء تدخل في تلك السنة ، وقُل هذا في المسجد ، أما غير ذلك من النوافل فلا تدخل في غيرها كركعتي الاستخارة والحاجة والعيدين .

ومن دخل المسجد لصلاة مكتوبة قبل دخول وقتها لزمه صلاة تحية المسجد ، فإن دخل بعد دخول الوقت دخلت تلك التحية في السنة التي سيصليها ، وإن لم يكن هناك سنة قبل فعلك تلك التحية في الفرض نفسه، وكذا تحية الوضوء.

قوله صلى الله عليه وسلم: [لا يحدّث فيها نفسه] أي أن يمنع قلبه من الاشتغال بالأحاديث النفسية ويجعل قلبه متوجهاً لله تعالى ، ولا يخلّ بهذه إن تواردت عليه الوساوس والخواطر ولكنه يردها ويدفعها ولا يستسلم لها ، لأنه صلى الله عليه وسلم قال: [لا يحدّث فيها نفسه] وهذا المصلي قد دفع ما ورد على قلبه.

ومِن مكر الشيطان وكيده بالمؤمن أن يأتي في صلاته ويذكره بأمور هامة وقد يذكره بأمور قد تكون منسية عند المصلي وذلك حتى يشغله فيها عن الحضور والتوجه إلى الله تعالى ، لا نصحاً له وتذكيراً. وكما يدافع الإنسان ويقاوم بيديه مَن يحاول إيذاءه والضرر به فكذلك يدفع ويقاوم بقلبه الوساوس الشيطانية والخواطر النفسانية التي تَرِد عليه لتشغله عن الله تعالى ، فلكل عضو في جسم الإنسان صفة المقاومة على حسب ذلك العضو .

وكما أن الإنسان يستعين بالله تعالى لينصره على عدوه حين مقاومته له فكذلك عليه أن يستعين بالله تعالى ليدفع عن قلبه وساوس الشيطان ولينصره عليه ، فليستنصر بالله وليتحصّن به.

وقوله صلى الله عليه وسلم: [لا تغتروا] المراد أن من توضأ فأحسن وضوئه وصلى ركعتين غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، لينبه الإنسان أن لا يغتر بنفسه وأنه قد غفرت له ذنوبه ويدخل عليه الفخر بنفسه وأنه العابد الذي قد غفر الله له ذنوبه وأنه ... وأنه ... فإنه إن فعل ذلك واغتر بنفسه فقد أفسد حاله ومآله وارتكب من المنكرات ما لا يشعر به من سوء ظن بالناس وأنه أفضل منهم وأنه المتعالي عليهم وهكذا .

فقوله صلى الله عليه وسلم : [لا تغتروا] أي : لا تغتروا في عباداتكم ولا في أعمالكم بل إنْ وفقكم الله للعبادة فاشكروا الله تعالى على ذلك واعلموا أن الفضل لله عليكم أن وفقكم لعبادته .

وإن قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتقدم : [غفر الله له ما تقدم من ذنبه] وكذا قوله صلى الله عليه وسلم في غير هذا الحديث بعد أن بيّن أن هناك أفعالاً أو أقوالاً مَن فعلها أو ذكرها غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، هذا يدل على كثرة تعرض الإنسان للوقوع في الذنوب ، ويدل على سعة رحمته سبحانه وتعالى بعباده أن شرع لهم من الأعمال والأقوال ما يغفر لهم بسببها ذنوبهم المتقدمة .

وأما الذنْب ونسبته إلى المؤمن فتختلف من مؤمن إلى آخر على حسب مراتب المؤمن في الإيمان والعرفان ، والقول المأثور في بيان ذلك:

[حسناتُ الأبرار سيئاتُ المقربين ، ومباحاتُ العوامّ سيئاتُ الأبرار] [1].

وإن الإيمان نور كاشف لصاحبه يستنير به عقله وقلبه وروحه وجسده ، وكلما ارتقى المؤمن في مراتب الإيمان زاد نوره قوة ، ودق نظره فراح يكشف له ذلك النور عن دقائق الأمور فيرى في نفسه ذنوباً صغائر لم يكن يلقي لها بالاً من قبل فيتوب منها ويستغفر الله تعالى .

---

[1] هذا القول: [حسنات الأبرار سيئات المقربين] رَفَعَه إلى النبي صلى الله عليه وسلم الشيخ ضياء الدين بن مصطفى بن عبد الرحمن الكمشخانوي الحنفي النقشبندي الخالدي المتوفى سنة ١٣١١ هـ ، رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه : (جامع الأصول في الأولياء) ص ٢١٦، ورفعه أيضاً الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الرازي الحنفي في كتاب (حدائق الحقائق) ص ١٧، و ممن عدّه حديثاً، الشيخ أبو الفضل محمد بن محمد الشافعي فإنه قال في كتابه (الظل المورود) : فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: .... فذكرَه ، وعزاه العجلوني في كشف الخفا وابن عساكر في تاريخه إلى أبي سعيد الخراز - وهو شيخ الصوفية ، القدوة أبو سعيد ، أحمد بن عيسى البغدادي الخراز المتوفى سنة ٢٧٧ هـ رضي الله عنه -، وعزاه الزركشي في لقطته - واسم الكتاب :(لقطة العجلان وبلة الظمآن) ألّفه الشيخ الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي رحمه الله المتوفى سنة ٧٩٤ هـ ، ويشتمل الكتاب على البحث في أصول الفقه و المنطق و الفلسفة و التوحيد - عزاه الزركشي في لقطته للجنيد ، وعزاه القرطبي في تفسيره للإمام الجنيد أيضاً، وقال الإمام الغزالي في (الإحياء):قال القائل الصادق: [حسنات الأبرار سيئات المقربين].
قلت : وقد أضحى هذا الحديث الشريف قاعدة مقررة مشهورة بين جميع طبقات العلماء والعرفاء سلفاً وخلفاً كما صرح بذلك سيدنا الشيخ الإمام رضي الله عنه في كتابه الإيمان بعوالم الآخرة في بحث الشفاعة ص ٢٣٤ . اهـ .

وهكذا كلما ارتقى في مراتب الإيمان ظهرت صغائر كانت خفية عليه فيستغفر منها ويبقى طول حياته في مقام التوبة ولا يفارقه ، عملاً بقوله تعالى: {وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون } على اختلاف مراتبكم ودرجاتكم في الإيمان { لعلكم تفلحون} فمِن المؤمنين من يتوب من الكبائر ، ومنهم من يتوب من الصغائر ، ومنهم من يتوب من صغائر الصغائر ، وهكذا كلٌّ على حسب إيمانه ومقامه .

ومِن الذنوب التي يغفل المؤمن عنها وقد وقع فيها وهو لا يشعر بوقوعه فيها : رؤيته للأسباب وغفلته عن المسبِّب لها والمؤثر فيها وهو الله تعالى، فإن الإنسان مثلاً يأكل الطعام ويشرب الشراب ويتنفس الهواء ويتعاطى الدواء لكن عليه أن لا يغفل أن هذه أسباب ووسائط خلقها الله تعالى وليس لها تأثير من ذاتها بل المؤثِّر فيها والفعّال هو الله تعالى ، فهو سبحانه المغذّي بالطعام لمن أكل الطعام ، وإن شاء غذّى بالطعام وإن شاء لا ، وليس للطعام قوة التغذية من ذاته بل هو خلق من خلق الله تعالى ، وهكذا الماء فالإنسان يشربه ليرتوي به ولكن الذي يرويه هو الله تعالى ، وكذا الدواء فهو سبب من الأسباب التي خلقها الله تعالى وجعلها أسباباً ، إن شاء أعملها وإن شاء أهملها ، فمن غفل عن ذلك عند أخذه لسبب من هذه الأسباب فقد ارتكب ذنباً ، وما أكثر ذنوب الإنسان ، وما أحوجه إلى مغفرة الله ورحمته!.

ومِن الذنوب أيضاً : غفلة الإنسان عن التحقق بمعنى : [لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم] أي : لا حول لمتحول ولا تأثير لمؤثر ولا قوة لمُتَقَوٍّ إلا بالله العلي العظيم ، وليس للمتحول مِن حوْل ولا قوة من ذاته بل إن حوله وقوته بالله تعالى.

وإن التحقق بمعنى [لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم] هو التحقق بالمرتبة الخامسة من مراتب التوحيد وهي [سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم].

وأما قولك :[سبحان الله] أي أنزّه الله تعالى تنزيهاً عن النقائص والآفات والعيوب ، وأنزِّهه عن كل ما لا يليق به جل وعلا ، كما نزَّه سبحانه هو نفسه.

وقولك: [الحمد لله] اعتراف العبد بأن الله تعالى متصف بالكمالات والمحاسن اللائقة به جل وعلا كما أثبتها سبحانه لنفسه.

وقولك: [لا إله إلا الله] إفراد له سبحانه بالذات والصفات ، فلا شريك ولا نصير ولا مثيل ولا شبيه له جل وعلا في ذاته ولا في صفاته سبحانه وتعالى ، ولا إله غيره ، ولا رب سواه.

وقولك : [الله أكبر] فهو سبحانه أعظم وأكبر وأجل مما سبّحته وحمدته، فهو كما سبحته وحمدته وأعظم من تسبيحك وتسبيح غيْرك، وله الأكبرية المطلقة ، كما قال تعالى : { وكبره تكبيراً }.

وإذا كانت الشمس الفلكية التي هي خلق من خلق الله تعالى لم يعرف الإنسان عنها إلا القليل ويقول:"هي أكبر وأعظم مما أعرفه" فما بالك - ولله المثل الأعلى - بالذي خلقها وأمدها ويمدها سبحانه؟!

فمهما عرف العارفون فهو سبحانه كما عرفوا وأكبر وأعظم مما عرفوا.

وقولك : [لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم] أي اعتراف العبد بأنه لا حول لمتحول من حال إلى حال ، ومِن فعل إلى فعل ، ولا قوة لِمُتَقَوٍّ على أمر يريده إلا بالله العلي العظيم .

وإذا عرف الإنسان ذلك عرف كثرة ذنوبه ، ومنها قول الله تعالى في الحديث القدسي : [يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار]- أي معرضون للخطايا في الليل والنهار- [وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم].[1]

اللهم اجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا أساؤوا استغفروا .آمين ونسأل الله التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً والحمد لله رب العالمين.

---

[1] طرف حديث في صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب

المحاضرة الثانية عشرة **بسم الله الرَّحمن الرَّحيم**

الدرس الأول في هذا الباب

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصَّلاة وأكمل التَّسليم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانكَ لا عِلم لنا إلا ما علَّمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم.

أمَّا بعد: بالسَّند المُتَّصل إلى الإمام الحافِظ أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيمَ بن المُغيرة بن بَردِزبه الجُعفي البُخاري رضي الله عنه قال :

باب الغنى غنى النفس[1] .

وقول الله تعالى : { أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ * وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ } .

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: لَمْ يَعْمَلُوهَا، لا بُدَّ مِنْ أَنْ يَعْمَلُوهَا.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:[لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ].اهـ

وقد جمع البخاري رضي الله عنه في هذا الكتاب كتاب الرقاق جملة من الأحاديث التي ترقق القلوب وتلطفها من قسوتها وتوقظها من غفلتها ، وقد جرى على ذلك كثير من المحدثين فمنهم من ترجم ذلك بـ كتاب المواعظ ومنهم من ترجم ذلك بـ كتاب الزهد وهكذا ..

---

[1] صحيح البخاري كتاب الرقاق

أما الآيات : { أيحسبونَ أنَّما نمدُّهمْ بهِ منْ مالٍ وبنينَ * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون * إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون* والذين هم بآيات ربهم يؤمنون* والذين هم بربهم لا يشركون* والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون* أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون }.

فقد ذكر سبحانه هذه الآيات في سورة المؤمنون التي مدح فيها سبحانه المؤمنين وأثنى عليهم وذكر أوصافهم في طاعة الله تعالى ثم حذر سبحانه من حال الكافرين فقال : { أيحسبونَ أنَّما نمدُّهمْ بهِ منْ مالٍ وبنينَ* نسارع لهم في الخيرات } أي : أيظن الكافرون الظالمون أن ما يفتح الله عليهم من الأولاد وأموال الدنيا وزخارفها وعلومها أيظن هؤلاء أن ذلك خير في حقهم؟ وأن ذلك من باب فتح الخيرات عليهم ورضا الله عنهم؟ {بل لا يشعرون} أي : بل ليس الأمر كما يظنون ويزعمون ، وغاب عنهم أن ذلك شر في حقهم وأنه من باب استدراجهم والمكر بهم ..

ولو أنهم آمنوا وامتثلوا أوامر الله تعالى لكان ما فتح الله عليهم من أبواب الدنيا وخيراتها لكان ذلك خيراً في حقهم.

ومن أراد الله به خيراً شغله به عن غيره ، ومن أراد به شراً - نسأل الله العافية - شغله بالأغيار عنه.

ثم بين سبحانه صفة المؤمنين الذين يسارع لهم في الخيرات وهم على رضا من الله تعالى وقد نالوا سعادة الدنيا والآخرة فقال جل وعلا : { إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون* والذين هم بآيات ربهم يؤمنون* والذين هم بربهم لا يشركون* والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون* أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون}.

قوله تعالى : { من خشية ربهم مشفقون } والخشية أخص من الخوف لأنها تكون عن علم بما تخشاه ، أما الخوف فهو أعم لأنه قد يكون عن علم وقد لا يكون عن علم بمن تخاف منه، كما لو تراءى لك شبح من بعيد فإنك تخاف منه ولا تدري من هو هذا المقبل فقد يكون صاحبك وقد يكون عدوك ..

وعلى قدر العلم بالله تعالى تكون شدة الخشية منه سبحانه، وقد قال تعالى: { إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ } أي العلماء بالله تعالى هم أهل الخشية من الله تعالى ، وخشيتهم من الله تعالى على قدر علم أحدهم بالله تعالى ، وإن أعلم خلق الله بالله وأخشاهم له هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أعلن ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم:

[والله إني لأَعلَمُكم بالله عز وجل وأخْشاكم له][1].

قوله تعالى : { من خشية ربهم مشفقون } أي : إن خشيتهم من الله تعالى أدت بهم إلى الإشفاق فصاروا يشفقون أي يخافون ويحذرون كل الحذر من حجاب الله تعالى بأن تحتجب قلوبهم عن ربهم ، وكفى باحتجاب الله عن الإنسان عذاباً إن هو انتبه من غفلته واستيقظ من سكرته ، ولذلك ذكر سبحانه أنواع العذاب في جهنم في عدة من الآيات القرآنية ، ثم لما ذكر عذاب الحجاب أفرده بالذِّكر لخطره وشدة هوله عند مَن يعقل ويعرف ، فقال عز من قائل: {كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون} لأنهم حجبوا قلوبهم عن الله تعالى لما كانوا في الدنيا فلما جاؤوا في الآخرة احتجب عنهم سبحانه فلا يرونه ، وهم في أشد الشوق لرؤيته ، ولو لم يكن الحجاب عذاباً للكفار لَمَا ذكره الله سبحانه وتعالى عنهم .

وإذا كان احتجاب الله تعالى عن الإنسان أشد أنواع العذاب له ، فإن رفع الحجاب وتجلي الحق على الإنسان هو من أعلى مراتب النعيم بل هو فوق كل نعيم ، قال تعالى : { وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة }.

قوله تعالى : { والذين هم بآيات ربهم يؤمنون } أي : يوقنون بآيات الله القرآنية التدوينية المتلوة إيماناً صادقاً بما أخبر سبحانه دون ارتياب أو شك، وهم يؤمنون بآيات الله التكوينية وهي ما يرونه ويشهدونه من حولهم وفوقهم من سموات وأراض ونجوم وبحار كما قال سبحانه: {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق } وأنها مَجالٍ تنجلي فيها قوة الله وعظمة الله وكمالات الله جل وعلا ..

---

[1] المسند ٢٣٧٦٥

وهذا هو شأن المؤمن أن يستدل بكل شيء على الله تعالى ، وما هذه العوالم إلا علامات دالة على الله تعالى وعلى قدرته وعظمته ، وعلى المؤمن أن لا يغلق فكره ويقبض نظره بالتعرف على الله تعالى بالأدلة والبراهين المحدودة كالأدلة الشَّرْطية ، ومثال من يفعل ذلك كمن راح ينظر إلى نور الشمس من خرم إبرة ، وضاق فكره أن يخرج إلى الساحة ليرى نور الشمس الباهر القوي .

وإذا كانت الشمس الظاهرة بنورها لجميع الخلق هي خَلْق مِن خلْقِ الله تعالى فإن الذي خلقها وأظهرها أشد ظهوراً منها ، وهو الظاهر في جميع المظاهر أي الظاهر نوره وعظمته وقدرته في جميع المخلوقات بل في جميع الذرات ، ولو أنصف الطبيب والفلكي والباحث والجغرافي .. لو أنصف هؤلاء في التفكير وتحرروا من أسر التكبر والعجب لعرفوا أن كل شيء في الكون دال على الله تعالى ويشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهذا معنى قوله تعالى : { سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق} وقوله سبحانه : { قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون } .

وقال جل وعز : { وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون} فعرفوا الله ورأوا آياته ظاهرة في كل شيء إلا أنهم لم يعترفوا و أعرضوا عناداً وكبراً.

قوله تعالى : { والذين هم بربهم لا يشركون } والمراد من الشرك في الآية الشرك الخفي لأن الآيات تذكر صفات أهل الإيمان فليس المراد الشرك الجَلِيّ الأكبر .

والشرك الخفي - ويسمى الشرك الأصغر - هو وقوف الإنسان مع الأسباب وغفلته عن المسبِّب ، ورؤيته الآثار وغفلته عن المؤثِّر وهي الغفلة عن معنى قولك : [لا حول ولا قوة إلا بالله] ، ومن لم يتحقق بهذا فإيمانه على نقص .

واعلم أن الأسباب خلقها الله تعالى كالخدَمة بين يديه، إن شاء أعملها لما خلقها له، وإن شاء أهملها، وليس للأسباب تأثير ذاتي، كما لا تملك ما أودع الله فيها من خصائص ومؤثرات ، فالنار لا تحرق من ذاتها والمحرِق بها هو الله تعالى ، كما أن الدواء لا يشفي من ذاته والشافي هو الله تعالى، والماء الذي أغرق الله تعالى به قوم نوح لم يغرق نوحاً عليه السلام ولم يغرق مَن معه مِن المؤمنين لأن الماء لا يغرق من ذاته بل إن الله تعالى يغرق به من أراد وينجي من أراد، وهكذا....

قوله تعالى : { والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة } - أي يؤتون ما آتوا من أعمال صالحة وقلوبهم خائفة مشفقة أن لا يقبل منهم - { أنهم إلى ربهم راجعون } أي لأنهم إلى ربهم راجعون وسوف يسألهم عن صدقهم وإخلاصهم في أعمالهم مع الله تعالى فخافوا من ذلك ..

وقد سألت الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ حَبِيبَةُ حَبِيبِ اللهِ الْمُبَرَّأَةُ فِي كِتَابِ اللهِ[1] سألت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} فَقَالَتْ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ ﷺ :[لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ].

فهم يرجون من الله تعالى القبول ويخافون إذا نظروا إلى أنفسهم أن لا يكونوا من أهل الإخلاص والصدق في أعمالهم .

قوله تعالى : { أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون } أي هؤلاء هم أهل الخيرات على الحقيقة ، وليس أولئك الذين سبق ذكرهم من الكافرين الذين فتح الله عليهم أبواب خيرات الدنيا فظنوا أنهم على شيء وما ذلك إلا مكرٌ بهم واستدراج لهم كما تقدم بيانه .

---

١ كما كان يذْكرها التابعي الجليل مسروق رحمه الله تعالى إذا حدَّث عنها رضي الله عنها (انظر حلية الأولياء ٤٤/٢).

وهؤلاء المؤمنون الصادقون سارع الله لهم بالخيرات فتسارعوا بالخيرات أي بفعل أعمال الخير والتقرب إلى الله تعالى { وهم لها } أي للخيرات {سابقون} أي يوم القيامة .

وقد دلت هذه الآية على ثلاثة أمور :

أولها : أن الذين يسارع الله لهم بالخيرات هم أهل الإيمان وأهل الخير من الله تعالى الذين وصفهم بقوله جل وعلا : {إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون} ... الآيات.

ثانيها: أن الله تعالى لما سارع لهم بالخيرات صاروا يسارعون بالخيرات أي بفعل أعمال الخير.

وثالثها : أن هؤلاء هم السابقون للخيرات يوم القيامة فإنهم يدخلون الجنة، وهؤلاء هم المقربون الذين أشار إليهم سبحانه بقوله : {والسابقون السابقون * أولئك المقربون}.

قوله تعالى : {ولا نكلف نفساً إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق } - وهو كتاب الإحصاء العام الذي يحصي على العباد جميع أعمالهم - {وهم لا يظلمون} - أي لا يُنقص من حسناتهم ولا يُزاد من سيئاتهم .

قوله تعالى : {بل قلوبهم في غمرة من هذا} -والضمير يعود إلى الكفار الذين ذكرهم سبحانه في الآيات قبلها بقوله عز من قائل : {أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون } وقلوب الكفار في غفلة عن أمور الآخرة .

وقوله تعالى : {في غمرة} وأصل الغمر تطلق على غمر الماء ، ومَن غَمَرَه الماء فقد غيّبه فلا يسمع ولا يرى ويشرف على الهلاك وكذلك شأن الكفار فلقد غمرت الدنيا وشهواتها غمرت قلوبهم فلا يتذكرون ولا يتفكرون بأمر الآخرة ، وفي الآية تنبيه وتحذير للمؤمن أن يحافظ على قلبه وأن لا تغمره الدنيا وظلماتها فيعمى ويصم عن أمور الآخرة .

وليعلم كل مؤمن أنه ليس وراء الله مرمى ولا دون الله منتهى ، فلتكن غايته ومقصده من العبادات وفعل الخيرات رضاءَ الله تعالى والتقرب منه لا أن يكون قصده من طاعة الله تعالى أن يجعله الله من أهل الكشف أو يخرق على يده العادات فإن ذلك يحصل للعابد السالك كرامة له وتنشيطاً لهمته في السير إلى الله تعالى وإلا فإنه إذا رأى من نفسه أنه حصل على المراتب وارتقى المقامات فقد انقطع به سبيل الوصول إلى حضرة الله تعالى .

وقد قال تعالى في سورة النجم - التي ذكر في أولها عروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات ثم إلى سدرة المنتهى إلى أن تجلى الله عليه بالرؤية - ذكر سبحانه في السورة قوله : {وأن إلى ربك المنتهى} فلم يقف صلى الله عليه وسلم مع ما رأى من العوالم الغيبية بل كان مقصده وغايته هو الله تعالى كما قال تعالى :{وأن إلى ربك المنتهى} ولم تشغله صلى الله عليه وسلم تلك العوالم عن غايته ومقصده ألا وهو الله تعالى .

ولكم أيها المؤمنون في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة فكونوا له مقتدين وبهديه مهتدين ، ولتكن غاية أحدكم ورغبته ومقصده هو الله تعالى ، ولا تشغلكم الأغيار عن الواحد القهار.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لاتباع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أكمل الأصول ، ونسأل الله التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة الثالثة عشرة بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصَّلاة وأكمل التَّسليم على سيّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سبحانكَ لا عِلم لنا إلا ما علَّمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم.

أمَّا بعد:

بالسَّند المُتَّصل إلى الإمام الحافِظ أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيمَ بن المُغيرة بن بَردِزبه الجُعفي البُخاري رضي الله عنه قال :

باب الغنى غنى النفس[1] .

وقول الله تعالى : { أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ * وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ } .

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: لَمْ يَعْمَلُوهَا، لا بُدَّ مِنْ أَنْ يَعْمَلُوهَا.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:[لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ][2].اهـ

لقد بيَّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنَّ الغنيَّ هو غنيُّ النَّفسِ والقلبِ، وليس الغنيُّ مَن كثرت أمواله وتوسَّعت تجاراته .

---

[1] صحيح البخاري كتاب الرقاق

٢ وقد ذكر الإمام البخاري رضي الله عنه هذا الحديث في كتاب الرقاق ، الذي ضم جملة من الأحاديث التي ترقِّق القلوب وتوقظها من غفلتها.

والعرَض المتقدم ذِكرُه في الحديث هو المتاعُ الذي ينتفعُ به في الدُّنيا كالدَّار والمال والطَّعام والشَّراب وغير ذلك ، إذ كلُّ ما ينتفعُ به الإنسانُ في الدُّنيا هو من باب العوارضِ التي تعرض له فهي عرَض.

وقد يُطلق العرَض على ما يعرضُ على الإنسان فيقالُ :

عرض له عارض وعرَض ومرض وآفة وغير ذلك[1].

وقد قال سبحانه في بيان عرَض الدنيا : {فخلفَ منْ بعدهمْ خلفٌ ورثوا الكتابَ يأخذونَ عرَضَ هذا الأدنَى ويقولونَ سيغفرُ لنا وإن يأتهمْ عرضٌ مثلهُ يأخذوهُ ألمْ يؤخذْ عليهمْ ميثاقُ الكتابِ أنْ لا يقولوا على اللهِ إلا الحقَّ ودرسوا ما فيهِ والدارُ الآخرةُ خيرٌ للَّذين يتَّقونَ أفلا تعقلونَ * والَّذينَ يمسكونَ بالكتابِ وأقاموا الصَّلاة إنَّا لا نضيعُ أجرَ المصلحين} اللهمَّ اجعلنا منهم.آمين

فقد ذكَر سبحانه في هاتين الآيتين مواقف النَّاس مع الكتبِ الإلهية التي أنزلها الله تعالى عليهم ، فمنهم من يقرأُ الكتاب ولا يعملُ به كما هو شأن كثير من الأمم السابقة، وبذلك يعرِّض سبحانه بهذه الأمَّة أنَّهم ورثوا الكتاب عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فيجبُ عليهم أنْ يعملوا ويتمسَّكوا به ولا يكونوا كالذينَ تمسَّكوا ظاهراً بالكتاب ، ولكنَّهم راحوا يحتالونَ على الكتاب بأن أحلُّوا ما حرَّم الله تعالى عليهم في الكتاب ليُجارُوا أهلَ عصرهم ويكسبوا منهم.

---

١ انظر (تاج العروس) مادة (عرض) والعَرَضُ في اصطلاح علماء الكلام هو ما يقابل الجوهر ، وتجد تعريف ذلك في أبحاث عِلم الكلام.

وهذا قوله تعالى: { فخلفَ منْ بعدهمْ خلفٌ } - أي خلفٌ سيّىء - {ورثوا الكتابَ يأخذونَ عرضَ هذا الأدنَى } أي عرضُ هذا العالم الدُّنيوي الدَّني ، ولكنَّهم أخذوا ذلكَ بغيرِ حقّ، إمَّا عن تأويلٍ للنَّصّ على ما يوافقُ أهواءهم أو اتّباعٍ لأقوالٍ ضعيفةٍ أو لا صحَّة لها كما هو حالُ أهل زمننا في الاحتيالِ على نصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ من أجلِ تحليلِ الرِّبا فقد يسمُّونها بغيرِ اسمها أو يعتبرونها ربحاً مشروعاً أو غير ذلك.

قوله تعالى : { يأخذونَ عرَضَ هذا الأدنى ويقولونَ سيغفرُ لنا } - أي ولو كنَّا مخطئين - {وإن يأتهم عرَضٌ مثلهُ} - أي فلم يقتصروا على واحدة بل تكرَّر ذلك منهم في سبيل الحصولِ على عرض الدُّنيا وإرضاء النَّاس ومجاراةِ العصر - {ألمْ يؤخذْ عليهمْ ميثاقُ الكتابِ أنْ لا يقولوا على اللهِ إلا الحقَّ ودرسوا ما فيهِ} وفي هذا يخاطبُ الله سبحانه وتعالى هذهِ الأمَّة المحمَّدية ليحذّرهم وينبّههم ألا يقعوا فيما وقع فيه مَن قبلهم مِن المكر والاحتيالِ على أحكام الله تعالى ، ثم قال سبحانه:

{والدَّارُ الآخرةُ خيرٌ للَّذين يتقونَ أفلا تعقلونَ * والذين يمسّكونَ بالكتابِ} -أي يتمسكون[1]بالقرآنِ وأحكامِه وأوامره وأهمها الصَّلاة، ولذلك ذكرها بالخصوصِ فقالَ عز وجل: {وأقاموا الصَّلاة إنَّا لا نضيعُ أجرَ المصلحينَ}.

ولا بدَّ لمن أرادَ التَّمسُّك بالكتاب لا بدَّ له من الرُّجوعِ إلى بياناتِ سيّدنا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم للكتاب وهي أحاديثُه الشَّريفة صلَّى الله عليه وسلَّم.

---

١ مسَّك وتمسَّك بالشيء إذا استمسكَ بهِ. انظر لسان العرب ٤٨٦/١٠

وقولُه تعالى : { والَّذينَ يمسِّكونَ } أي يتمسَّكونَ بالكتابِ ، وذلكَ لأنَّ كتاب الله تعالى سبب، طرفهُ بيدِ الله تعالى، وطرفهُ الآخر مرسَلٌ [1]لمن أراد أنْ يتمسَّكَ بهِ ، ومنْ أخذَ بالقرآنِ اعتقاداً وعملاً فقدْ تمسَّكَ بحبل الله تعالى فيأمن عندئذٍ من الشُّرورِ والفتنِ ، وعلى شدةِ تمسُّكِه بكتابِ الله تعالى يكونُ أمنه ونجاته من فتنِ الدُّنيا وعذابِ الآخرةِ .

وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي عن أمير المؤمنين سيدنا علي كرم الله تعالى وجهه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

[أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ،فَقُلْتُ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ :كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَن ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا:{ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ }.

مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ].[2]

قولُه تعالى : { يأخذونَ عرضَ هذا الأدنى} فقد وصفَ سبحانه عرضَ الدُّنيا بالدَّناءةِ ، فعلى الإنسانِ أن لا يصرفَ همَّته إلى جمعه والاستكثارِ منهُ ، ولتكنْ همَّته متوجِّهة إلى الأعلى ، وهو نيلُ ما عندَ الله تعالى من الفضائلِ و المكرماتِ ، قال سبحانه : { بل تؤثرونَ الحياةَ الدُّنيا * والآخرةُ خيرٌ وأبقى} .

---

[1] جاء في المعجم الكبير للطبراني قوله صلى الله عليه وسلم : [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا].

[2] سنن الترمذي كتاب فضائل القرآن

وكمْ منْ غنيّ ، كثيرةٌ أمواله وتجاراتُه وعقاراتُه ، ولكنَّ نفسه شحيحةٌ دنيئة، فتراهُ يكدُّ ويسعى ويجهد نفسه في سبيلِ الحصولِ على المالِ وكأنَّه فقيرٌ لا شيء عنده!!

وإذا كانتْ صفاتُ الحرصِ والطَّمعِ والأملِ تغلبُ على الإنسانِ ولا يمكنُه استئصالها من نفسهِ فليصرفها في مرضاةِ الله سبحانه وتعالى ، فليحرصْ على ما ينفعه لا على ما يعودُ عليه بالسُّؤالِ والحسابِ والعذابِ ، وليطمعْ في مغفرةِ الله تعالى ورحمته ورضوانِه لا في جمع حطامِ الدُّنيا وأموالِها، وليكنْ أمله وهمته متوجهة إلى عمارةِ آخرتهِ ، لأن الدُّنيا وما فيها لا تتَّسعُ لطولِ أملهِ وعظيمِ رغبتهِ ، لأن عمره فيها قصيرٌ محدودٌ ، أمَّا الآخرةُ فهي دار الخلودِ ، والإنسانُ سيخلد فيها أبدَ الآبدينَ ، فليسعَ أن يكونَ خلوده في الآخرةِ خلوداً بحياةٍ ناعمةٍ في دارِ كرامةِ الله تعالى وضيافتهِ لعبادهِ المؤمنينَ.

وفي الحديث الذي رواه البخاري وغيره عنْ أنس بن مالكٍ رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ :

[لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ][1]

وقال الله تعالى : { إنَّ الإنسانَ لربّه لكنودٌ } - أي لَجَحودٌ لنِعمِ الله تعالى عليه إلا أهل الإيمان - {وإنَّهُ على ذلكَ لشهيدٌ} أي يعلمُ أنَّ ما عنده مِن الله تعالى ، ولكنَّه ينكرُ ويزعمُ أنَّ ما عندهُ هو بسعيه وجدِّه ونشاطه ، كما قال الله سبحانه وتعالى مخبراً عن قارون : {قالَ إنَّما أوتيتهُ على علمٍ عندي}.

قوله تعالى : {وإنَّه لحبّ الخيرِ لشديدٌ } إمَّا المراد أنَّه يحب الخير ، فأهلُ الإيمان يحبُّون خير الآخرةِ ، وأهلُ الدُّنيا يحبون خير الدُّنيا ويسعون في طلبها ولو حصلوا منها على الكثير ، فما دامَ حبُّ الإنسانِ للخيرِ شديداً فليجعلْ حبَّه للخيرِ الذي سيبقى معه أبداً.

---

[1] صحيح البخاري كتاب الرقاق ومسند الإمام أحمد ١٢٢٥٦ وصحيح ابن حبان كتاب الزكاة

أو المُراد : { وإنَّهُ لحبِّ الخيرِ لشديدٌ} أي الخير الدُّنيويّ ، وهو شأنُ الكنود الذي تعلَّق بالدُّنيا وجحد نعمةَ ربّه ، فمِنْ شدَّة حبِّه لخيرِ الدُّنيا صارَ شديداً بخيلاً ، والمعنى : وإنَّه لشديدٌ أي ذو شدَّة وقسوةٍ وبخل بسببِ حبّه لخيرِ الدُّنيا ، ويجدُ تلكَ الشِّدَّةَ والقسوةَ فيهِ مَن عامله ببيعٍ أو شراءٍ ونحوه.

فمِنْ شدَّة حرص هذا على الدُّنيا وحبه لها صار شديداً حريصاً على أموالها، وقد ذمَّ الله تعالى مَن صفته هكذا وزَجَرهُ ، فقال جل وعز : { أفلا يعلم إذا بعثرَ ما في القُبُور * وحُصّل ما في الصُّدور * إنَّ ربَّهمْ بهمْ يومئذٍ لخبيرٌ} أي فأينَ هذا من هولِ هذا اليوم الذي سيأتي عليه ويسألُه الله تعالى فيه ويحاسبه على شدَّةِ حرصهِ وحبِّه للدنيا وتعلُّقه بها؟!

قوله تعالى: { أفلا يعلمُ إذا بعثرَ[1] ما في القبور} أي : إذا بُعث من في القبور من الموتى وانتشروا على وجه الأرض

قوله تعالى : { وحصّل ما في الصُّدور } أي فكما أظهرَ الله تعالى خبايا مَن في القبورِ أظهرَ أيضاً الخبايا التي في الصُّدورِ مِنْ حُبِّ دُنيا وهمَّة وعزيمة ، فكما أظهرهم الله تعالى من قبورهم أبرزَ ما في قلوبهم .

وفي روايةٍ ثانية للحديث عند ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

[يا أبا ذر ، أترى كثرة المال هو الغنى ؟

قلت : نعم[2] .

قال : وترى قلَّة المالِ هو الفقر ؟

قلت : نعم يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

قال : إنَّما الغنى غنى القلب ، والفقر فقرُ القلب][3] .

---

[1] يعني : بعث وأثير . انظر تفسير الطبري للآية الكريمة

[2] أي لأن هذا هو المعروف بين الناس.

[3] صحيح ابن حبان كتاب الرقائق

ومن آفاتِ غنى المال أنَّه يميلُ عن صاحبِه إلى ورثتهِ فور موته وقبل تغسيله ودفنه ، وأمَّا غنى النفسِ والقلبِ فيبقى معَ الإنسانِ أبد الآبدينَ .

وإذا كان غنى المالِ يحصُلُ للإنسانِ بجمعِ المالِ ، فليبحثِ الإنسانُ وليسعَ في تحصيلِ الأسبابِ التي تحصّلُ له غنى النَّفسِ والقلبِ.

ومن العجيب أنَّ الإنسانَ يسعى ويشقى في جمعِ ما ينفعُ غيره وهو ماله الذي سينتقلُ إلى ورثتهِ بعد موته، ويهملُ ويتركُ جمعَ ما فيه غنى نفسه وقلبه !

وفي الحديث الذي رواه الإمام البخاري وغيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : [أيُّكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟

قالوا : يا رسول الله ، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه ، قال : فإن ماله ما قدّم، ومال وارثه ما أخّر] [1].

فليسَ كلُّ ما جمعه الإنسانُ هو له ، إذ ليسَ له منه إلا ما قدَّمه من فعل الخيرات ، وأمَّا ما سوى ذلكَ فقد تعبَ في جمعه وليسَ له منه شيء ، بل هو لمن بعده من ورثته .

واعلم أنَّه لا يستغني القلبُ إلا بالتقرُّب إلى الرَّبِّ جلَّ وعلا، وذلكَ بالتَّحقُّق بالكمالاتِ الإيمانيةِ العلميةِ والعمليةِ التي ترضي الله تعالى وترضي رسوله الكريم صلَّى الله عليه وسلَّم ، ولا يملأ القلبَ إلا حبُّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ورضا الله ورسوله صلَّى الله عليه وسلَّم، وطريقُ ذلك التَّحقُّق بالكمالِ العلمي والعملي ، والذي جاءَ بيانُه عن سيدنا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله تعالى للعالمين معلّماً لهم الكتاب والحكمة ومزكّياً لنفوسهم وقلوبهم، قال تعالى:{ لقد منَّ اللهُ على المؤمنين إذ بعثَ فيهم رسولاً من أنفسهمْ يتلوا عليهمْ آياتهِ ويزكّيهمْ ويعلّمهمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا منْ قبلُ لفي ضلالٍ مبينٍ }.

[1] صحيح البخاري كتاب الرقاق واللفظ له وسنن النسائي كتاب الوصايا

فلا بد لسلوك طريق القرب مِن الله تعالى من علم وعمل ، وقد أشار إلى هذا قوله تعالى : { أولي الأيْدي والأبصار } أي أولي القوَّة في الطَّاعةِ وعبادةِ الله تعالى وأولي البصائرِ القلبيةِ التي تشهدُ العلوم الإلهية ، فلا بدَّ إذاً من العلم النَّافع والعمل الصَّالحِ حتى يستغنيَ القلبُ وتستغني النفس بفضلِ الله تعالى وبرحمته.

وبالعملِ الصَّالحِ يتقرَّب العبدُ من ربِّه ، ولا يزالُ كذلك حتى ينالَ محبَّةَ الله تعالى ، كما قال سبحانه في الحديث القُدسي:

[مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا] وفي رواية:[ولسانه الذي ينطق به، وقلبه الذي يعقل به] [1][وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ].[2]

يعني أنَّ الله تعالى تولَّى جميع حواسّ ومدارك هذا العبدِ المحبوبِ عنده ، وملأها نوراً من عنده ، وبذلك أصبح العبدُ المحبوبُ لا يلتفتُ إلا إلى الله تعالى ، ولا ينشغلُ إلا بالله تعالى ، فَهُمْ وإنْ عملوا في الدُّنيا وباعوا واشتروا وتاجروا فإنَّ مقصودهم من ذلكَ القيامُ بما أمر الله تعالى ، والسَّعيُ على عيالهم ونفعُ عبادِ الله تعالى ، إلا أن محبةَ الله تعالى تعمرُ قلوبهم، وذِكر الله تعالى يرطِّب ألسنتهم ،كما قال تعالى : {رجالٌ لا تلهيهمْ تجارةٌ ولا بيعٌ عنْ ذِكرِ اللهِ وإقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ يخافونَ يوماً تتقلبُ فيهِ القلوبُ والأبصارُ}.

---

[1] مسند أبي يعلى

[2] صحيح البخاري كتاب الرقاق

ومن تحقَّق بذلكَ ونالَ مقام المحبة والمحبوبيةِ منَ الله تعالى ، ونال مقام الرِّضا فقد استغنى قلبه ونفسه عما سوى الله تعالى ، فإنْ هو عندئذ خسر مالاً في بعض تجاراته فلا يبالي ، لأنَّ الغنى بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم مالئٌ قلبه ونفسه ، ولا تفرحهُ زيادةُ أمواله لأنَّ الفرحَ بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم مستحكم على قلبه ونفسه ، وهذا ما أمر به سبحانهُ عباده المؤمنينَ للتّحقُّق به فقال جل وعلا:{قلْ بفضلِ اللهِ وبرحمتهِ فبذلكَ فليفرحوا هوَ خيرٌ ممَّا يجمعونَ}.

واعلمْ أنَّ القلب لا يسكنُ ولا يطمئنُّ ولا يُملأ إلا بأنوارِ الرَّبّ جلَّ وعلا -وهذا ما يشعر به كلُّ مؤمنٍ إذا التجأ إلى ربِّه جلَّ وعلا فراراً من همومِ الدُّنيا وغمومها ومتاعبها- ومهما استزادَ الإنسانُ من أموالِ الدُّنيا ومتاعها فلا يشبعُ ولا يكتفي، ويسعى دوماً نحو المزيد ، لأنَّ ميدانَ قلبِه واسعٌ كبيرٌ لا يسكنُ ولا يطمئنُّ إلا إذا غمرتهُ أنوارُ الله تعالى ، ولا ينالُ ذلكَ إلا بمحبةِ الله تعالى والتقرُّب إليه سُبحانه بالأقوالِ الطَّيبةِ والأعمالِ الصَّالحةِ.

ونسأل الله تعالى التَّوفيق، وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة الرابعة عشرة بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

أما بعد :

بالسند المتصل إلى الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري رضي الله عنه قال :

بَاب حِفْظِ اللِّسَانِ، وَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ] وَقَوْلِهِ تَعَالَى:{ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ }.

ثم أورد بسنده إلى سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:[مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ].

وعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ قَالَ:سَمِعَ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:[الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ جَائِزَتُهُ ، قِيلَ: مَا جَائِزَتُهُ؟ قَالَ: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ].اهـ

لقد جرت عادة المحدثين في كتب الحديث أن يعقدوا كتاباً خاصاً بالرقائق أو المواعظ أو الزهد ويجمعون فيه الأحاديث التي ترقق القلوب ، وتُلَطِّفها من قوتها وتوقظها من غفلتها في الدنيا.

ولقد كان أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا الموعظة منه رقت قلوبهم ، وفي ذلك يقول أبو هريرة رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

[يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا وَزَهِدْنَا فِي الدُّنْيَا وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ فَآنَسْنَا أَهَالِينَا وَشَمَمْنَا أَوْلَادَنَا أَنْكَرْنَا أَنْفُسَنَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِي كُنْتُمْ عَلَى حَالِكُمْ ذَلِكَ لَزَارَتْكُم الْمَلَائِكَةُ فِي بُيُوتِكُمْ].[1]

وفي رواية ابن حبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [لو تدومون على ما تكونون عندي في الحال ، لصافحتكم الملائكة حتى تظلّكم بأجنحتها، ولكن ساعة وساعة][2].

وقد ورد هذا أيضاً عن حنظلة بن الربيع [3]رضي الله عنه وغيره من الصحابة أيضاً .

وهذا الْعِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ رضي الله عنه يقول كما روى الترمذي :

[وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ،فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ][4].

---

[1] طرف حديث في سنن الترمذي كتاب صفة الجنة
[2] صحيح ابن حبان كتاب البر والإحسان
[3] كما في صحيح مسلم كتاب التوبة
[4] سنن الترمذي كتاب العلم

وفي رواية : [موعظة مضت منها الجلود][1] - أي : اقشعرت وتألمت حتى كادت تحترق .

فلقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأثرون بمواعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وتذكيره لهم مع أن قلوبهم قلوب الواصلين المقربين ، إلا أنهم لا يستغنون عن مواعظه وتذكيره وتعاليمه صلى الله عليه وسلم .

ولكل مؤمنٍ بل ولكل مقربٍ نصيبُه وحظه من مواعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم مهما ارتقى في درجات القرب .

فإذا كان الصحابة رضي الله عنهم مع شدة إيمانهم وقوة إخلاصهم وصدقهم يحرصون على سماع مواعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجدير بك أيها المؤمن أن تحرص كل الحرص على سماع مواعظه صلى الله عليه وسلم وتذكيره وهديه وإرشاده صلى الله عليه وسلم ، حتى يرق قلبك وتزكو نفسك، وتنتبه من غفلتك في الدنيا وأموالها، وتنشط همتك للعمل للدار الآخرة .

وفي هذا الباب أورد البخاري رضي الله عنه جملة من الأحاديث تبين خطر اللسان على الإنسان ولو كان مؤمناً صالحاً عابداً فإن لسانه قد يحبط أعماله الصالحة ويورده المهالك ، وقد قال سبحانه : { ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد } أي : ما من قول يتلفظ به الإنسان إلا كتبه عليه الملكان الموكلان بإحصاء أعماله وأقواله الصالحة والفاسدة .

وقال تعالى : { وإن عليكم لحافظين* كراماً كاتبين* يعلمون ما تفعلون } فهم ملائكة كرام عدول ثقات بشهادة الله تعالى ، صادقون ، يكتبون جميع ما يصدر عن الإنسان من أقوال وأعمال ، وكلٌّ من هذين الملَكَين رقيب عتيد أي : لا يغفل لحظة عن مراقبة الإنسان وما يصدر عنه في أقواله وأعماله ، وهو حاضر العتاد سريع الكتابة .

---

[1] كما في مسند الحارث كتاب العلم

واللفظ في اللغة هو الطرح والرمي والإلقاء ويسمى الكلام الذي يلقيه الإنسان لفظاً [1].

وقوله تعالى : { من قول } يفيد عموم الكلام أي : ولو كان نصف كلمة، لأنها نكرة جاءت بعد نفي ، وقد بين لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - صاحب البيان عن القرآن الذي أنزل الله عليه القرآن وبينه له ثم أمره أن يبينه للناس فقال تعالى : { وأنزلنا إليك الذِّكر لتبين للناس ما نزل إليهم} - بيَّن صلى الله عليه وسلم لنا أن أمر اللسان أمر خطير، فقال : [مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ].

[مَنْ يَتَكَفَّلْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَتَكَفَّلْ لَهُ بِالْجَنَّةِ][2]

وفي رواية : [مَنْ تَوَكَّلَ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ تَوَكَّلْتُ لَهُ بِالْجَنَّةِ][3].

واللحيان تثنية لحى ، وهو عظم الفك الذي ينتهي إلى الذقن ، وسمي بذلك لأن اللحية تنبت عليه من طرفي الوجه ، والذقن هو مجمع اللحيين ، واللحية هي الشعر الذي ينبت على اللحيين ، وما كان غير ذلك فلا يسمى لحية في الشرع ولا في اللغة .

وقوله صلى الله عليه وسلم : [من يضمن لي ما بين لحييه] أي : من يضمن لي فمه [وما بين رجليه] أي : فرْجَه ، فمن أمسك فمه عن الحرام وحفظ فرجه عن الحرام ضمن له الجنةَ أصدقُ العالمين صلى الله عليه وسلم.

ولولا أن أمر الجنة كبير لما قال صلى الله عليه وسلم : [أضمن له الجنة]، لأنه صلى الله عليه وسلم لا يضمن إلا عظائم الأمور و كبارها .

---

[1] انظر لسان العرب مادة : لفظ

[2] سنن الترمذي كتاب الزهد

[3] مسند الإمام أحمد ٢١٧٥٧

ومِن أخطار اللسان : فحش الكلام والسب والشتم والسخرية والاستهزاء والغيبة والنميمة ، ورُبَّ كلمة يتكلم بها الإنسان لا يبالي بها أو ليضحك السامع ولكنها أخرجته عن دينه وهو لا يشعر ، أو أحبطت كثيراً من أعماله الصالحة وهو لا يشعر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد :[إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ].

وقد خلق الله تعالى كل حيوان أي : كل ذي حياة، وخلق له عقلاً يناسبه ويلائمه بحيث يهتدي بهذا العقل لما فيه بقاء وجوده وصلاح أمر حياته ونسله ، فيعرف ما يضره وما ينفعه من طعام وشراب ومأوى وغير ذلك ، لكنه سبحانه شرَّف الإنسان وكرَّمه بأن منحه عقلاً إنسانياً سامياً بالإضافة إلى العقل الحيواني ، وبهذا العقل الإنساني العلوي الرباني ارتقى الإنسان وسما وصار مستعداً قابلاً لحمل الأمانة الربانية ، ولذلك قال تعالى : {وحملها الإنسان} أي : لأن له عقلاً مميزاً عن سائر الحيوانات والمخلوقات {إنه كان ظلوماً جهولاً} أي : لأنه رأى نفسه ظلوماً جهولاً فتقدم لحمل الأمانة حتى يزيل عنه الظلم والجهل ويرتقي في مراتب الكمال الإنساني ، وهذه الأمانة هي التكاليف الشرعية بما فيها من عقائد إيمانية وأعمال صالحة وأقوال طيبة وأخلاق وآداب .

وطالما أن الإنسان تقدم لحمل الأمانة فعليه أن يحملها بأمانة وصدق ، ولا يخون شيئاً منها ، وأن يقوم بأداء حقوقها وواجباتها عليه ، ومن جملة ذلك إذا أراد أن يتكلم فليكن كلامه شرعياً حسب ما يقتضيه منه حمله للأمانة.

وقد ذكر سبحانه في صفات أهل الإيمان أنهم عن لغو الكلام معرضون فقال جل وعلا: {والذين هم عن اللغو معرضون} فهم يُعرِضون عن الكلام المباح الذي لا فائدة منه ، وهم من باب أولى معرضون عن الكلام الحرام ، فهم يتركون الكلام المباح خشية أن يقعوا في كلام مكروه أو حرام.

وقد قال صلى الله عليه وسلم في وصف كُمَّل المؤمنين: [مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ][1] .

وليعلم الإنسان أن لكلامه آثاراً وأحكاماً تترتب عليه ، فليحفظ لسانه عن النطق إلا بما شرعه الله تعالى ، فإن تكلم بألفاظ الطلاق طلقت زوجته وإن كان مازحاً في كلامه ، وإذا قال لآخر : (زوجتك ابنتي فلانة) ، وقبِلها الآخر صارت زوجته ، وليس له أن يقول له : (إني كنت أمازحك) ، وهكذا إذا أعتق مملوكه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي : [ثَلَاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: النِّكَاحُ وَالطَّلَاقُ وَالرَّجْعَةُ][2].

ومن باع سلعة لغيره وقبِل الآخر شراءها صار عقداً بينهما وليس لأحدهما الرجوع إلا إذا أقاله الآخر ، وهكذا يترتب على الكلام عقود وعهود يجب على الإنسان أن يلتزم بها .

ومن أطلق للسانه العنان واستباح أنواع الكلام ووقع في أعراض غيره من بني الإنسان فإن ذلك مِن علامة بُعده عن الله تعالى لأنه اشتغل بالخلق ونسي وترك ذِكر الخالق سبحانه وتعالى .

ولقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب خلق الله تعالى لساناً وأزكاهم قلباً ، ولقد تبعه مرة أعرابي وأخذ بردائه حتى أثَّر في عنقه صلى الله عليه وسلم وقال له : أَعْطِنِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، وفي رواية أن الأعرابي قال للنبي ﷺ : "احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرَيَّ هَذَيْنِ، فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلُ لِي مِنْ مَالِكَ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ" فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[لَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، لَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، لَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، لَا أَحْمِلُ لَكَ حَتَّى تُقِيدَنِي مِنْ جَبْذَتِكَ الَّتِي جَبَذْتَنِي، فَكُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ لَا أُقِيدُكَهَا] وكل ذلك من لطافة وحسن عشرته صلى الله عليه وسلم ، ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك وأمر بعض الصحابة وقال : [احْمِلْ لَهُ عَلَى بَعِيرَيْهِ هَذَيْنِ عَلَى بَعِيرٍ شَعِيرًا وَعَلَى الْآخَرِ تَمْرًا][3].

---

[1] صحيح البخاري كتاب الأدب

[2] سنن الترمذي وأبي داود كتاب الطلاق

[3] انظر سنن أبي داود كتاب الأدب ومسند الإمام أحمد ١٢٠٩٠

وقد بين صلى الله عليه وسلم أنه لا بد من القَوَد - أي : القصاص - في الآخرة بين كل مَن جرى بينهما خصام أو كلام مؤذٍ إلا من عفا عن صاحبه وصفح عنه في الدنيا .

ولقد كان بعض الصالحين يضع تحت لسانه حصاة حتى لا يتسرع في الكلام بل يتأنى ويفكر فيما يريد أن يتكلم به ، فإن كان خيراً رفع الحصاة وتكلم ، وإلا أمسك عن الكلام[1] ، وذلك لما في الكلام من آثار وأخطار وأحكام ، وقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي: [وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟] [2].

أي : فلا يكن لسانك أيها المؤمن كالحصّاد وهو المنجل الذي يحصد الزرع فيجمع الأخضر واليابس والحسن والقبيح ، بل اجعل لسانك أداة خير تستعمله في كل ما يقرِّبك إلى الله تعالى من كلام طيب كالتسبيح والتحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذِكر الله تعالى .

فسبحان من تشرفت بذِكره الأفواه وسبحان من تشرفت بالسجود له الجباه.

وعارٌ على مؤمن طيِّبٍ لسانه بذِكر الله تعالى والصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدنّسه وينجّسه بعد ذلك بالقاذورات الحسية والمعنوية ، ومثله كمن تطيب وتزين لضيوفه ثم بعد أن أخذ جماله وكماله جعل شيئاً من القاذورات على ثيابه ووجهه ، فيقال له : لقد أفسدت ريح طيبك وخدشت رونق جمالك فلمَ فعلت ذلك ؟ .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على نقص عقلك وحماقتك ، ولو كنت عاقلاً لما فعلت ذلك .

---

[1] جاء في كتاب الورع لابن أبي الدنيا عَنْ أَرْطَاةَ بْنِ الْمُنْذِرِ قَالَ: (تَعَلَّمَ رَجُلٌ الصَّمْتَ أَرْبَعِينَ سَنَة بِحَصَاةٍ يَضَعُهَا فِي فِيهِ لَا يَنْتَزِعُهَا إِلَّا عِنْدَ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ أَوْ نَوْمٍ).اهـ

[2] سنن الترمذي كتاب الإيمان

وهذا شأن مَن تَحلَّى وتَطيَّب بذِكر الله تعالى وقولِ : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فيقال له : لا تفسد طيبك ولا تنقص كمالك بفحش الكلام ، بل ولا تنقص إيمانك وتحبط ثواب أعمالك بالغيبة والنميمة والوقوع في أعراض الناس ، وإن صدر منك شيء من ذلك فبادر إلى التوبة والاستغفار واستسمح ممن اغتبته أو بَهَتَّه أو نلت شيئاً منه قبل أن يأتي يوم لا تنفع فيه المعذرة، ويجري فيه القَوَد - أي القصاص - بين الخلائق بالحسنات والسيئات ، ونسأل الله تعالى التوفيق لمحابِّه وحسن الظن به .

ونسأل الله التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين.

المحتوى

المحاضرة الأولى	٤
المحاضرة الثانية	٩
المحاضرة الثالثة	١٩
المحاضرة الرابعة	٣١
المحاضرة الخامسة	٤٤
المحاضرة السادسة	٥١
المحاضرة السابعة	٦١
المحاضرة الثامنة	٧١
المحاضرة التاسعة	٧٩
المحاضرة العاشرة	٨٨
المحاضرة الحادية عشرة	٩٩
المحاضرة الثانية عشرة	١١٠
المحاضرة الثالثة عشرة	١١٧
المحاضرة الرابعة عشرة	١٢٦

كُتُب للمُؤَلِّف

* حول تفسير سورة الفاتحة - أمّ القرآن الكريم .
* حول تفسير سورة الحجرات .
* حول تفسير سورة (ق) .
* حول تفسير سورة الملك .
* حول تفسير سورة الإنسان .
* حول تفسير سورة العلق .
* حول تفسير سورة الكوثر .
* حول تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين بعدها .
* هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان .
* هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان .
* تلاوة القرآن المجيد - فضائلها - آدابها - خصائصها .
* شهادة لا إلـه إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ :

فضائلها - معانيها – شواهدها ومشاهدها - مطالبها .

* سيدنا محمد رسول الله ﷺ : خصاله الحميدة - شمائله المجيدة .
* الهدي النبوي والإرشادات المحمدية ﷺ إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب السنية.
* التقرب إلى الله تعالى : فضله - طريقه - مراتبه .
* الصلاة في الإسلام : منزلتها في الدين - فضائلها - آثارها - آدابها .
* الصلاة على النبي ﷺ : أحكامها - فضائلها - فوائدها .
* صعود الأقوال ورفع الأعمال إلى الكبير المتعال ذي العزة والجلال.
* الدعاء : فضائله - آدابه - ما ورد في المناسبات ومختلف الأوقات .
* الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها .
* الإيمان بالملائكة عليهم السلام ومعه بحث حول عالم الجن .

* حول ترجمة الإمام العلامة المرحوم محمد نجيب سراج الدين رحمه الله تعالى.

* شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث .

* الأدعية والأذكار الواردة آناء الليل وأطراف النهار.

* أدعية الصباح والمساء ومعها استغاثات .

* مناسك الحج ويليها أحكام زيارة النبي ﷺ وآدابها .

* الصيام : آدابه - مطالبه - فوائده - فضائله .

وتجدونها كلها متاحة للتحميل

في الموقع الرسمي والوحيد للشيخ الإمام :

www.srajalden.com

في قسم : مؤلفات الإمام – المؤلفات المكتوبة

من آثار الشيخ الإمام

* محاضرات حول الفضائل المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم .

* محاضرات حول الإسراء والمعراج : آثاره - فضائله - أسراره.

*محاضرات حول الإيمان بالقضاء والقدر.

* دروس حول تفسير بعض آيات القرآن الكريم .

* محاضرات حول عالم الجنة : مراتب الجنة - ألوان النعيم في الجنة - صفات أهل الجنة .

* محاضرات حول مواقف سيدنا رسول الله ﷺ مع العالم – الجزء الأول .

* محاضرات حول مواقف سيدنا رسول الله ﷺ مع العالم في الوعظ والتذكير – الجزء الثاني .

* محاضرات حول مواقف سيدنا رسول الله ﷺ مع العالم - موقف تعليم الكتاب - الجزء الثالث.

* محاضرات حول مقامات أهل الإيمان - الجزء الرابع .

* محاضرات حول هجرة سيدنا رسول الله ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

* محاضرات حول تفسير خواتيم سورتَي البقرة وآل عمران والمعوِّذات وأذكار بعد الصلوات.

* محاضرات حول مقتضيات الشهادة بأنه لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

* مجالس الحديث النبوي الشريف - الجزء الأول .

* مجالس الحديث النبوي الشريف - الجزء الثاني .

وتجدونها كلها متاحة للتحميل

في الموقع الرسمي والوحيد للشيخ الإمام :

www.srajalden.com

في قسم : مؤلفات الإمام – المؤلفات المكتوبة

قَبَسات من المؤلفات

* حُكْمُ أَبَوَيْ سيِّدنا محمد ﷺ الشَّريفَين .
* آثار الزكاة وأنوارها ، وعقاب مانع الزكاة .
* أربعون حديثاً من جوامع كلِم النبي ﷺ .
* الأمر بالمحافظة على الصلاة ، والتحذير من تأخيرها والوعيد الشديد لمن تركها
* البشائر الغُرر للمكثرين من الصلاة على سيد البشر ﷺ .
* التوسل والاستغاثة بسيدنا محمد ﷺ .
* الكلام حول الأدلة على أنه لا إله إلا الله وحده .
* بيان قصة الغرانيق الباطلة .
* رحمة سيدنا محمد ﷺ للعالم .
* سبب وجود بعض الأحاديث التي فيها ضعف في مؤلفات الإمام .
* شفاعة سيدنا محمد ﷺ العامة والخاصة .
* صلاة الاستخارة ودعاؤها .
* حول مولده الشريفﷺ والابتهاج والاحتفال بيوم مولده الشريف ﷺ .
* سبب ذكر بعض البشائر المنامية في كتاب الصلاة على النبي ﷺ .
* صلاة التراويح وعدد ركعاتها .
* عصمة سيدنا محمد ﷺ من الخطأ في جميع أحواله .
* وصول الثواب إلى الأموات .
* معاني الصلاة الإبراهيمية .
* محبة الصحابة لسيدنا محمد ﷺ .

وتجدونها كلها متاحة للتحميل

في الموقع الرسمي والوحيد للشيخ الإمام :

www.srajalden.com

في قسم : مؤلفات الإمام – قبسات من المؤلفات